خيرية الأمة

وخيرية نبيها

صلى الله عليه وسلم

ابن شهوان

جمع وترتيب

من خطب ومحاضرات فضيلة الشيخ

أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان

حفظه الله تعالى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

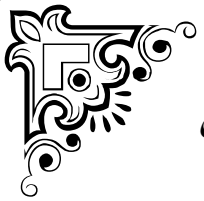

أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ

فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَكْرَمَ هَذِهِ الْأُمَّةَ؛ فَأَكْمَلَ لَهَا الدِّينَ، وَحَفِظَ كِتَابَهَا مِنَ التَّحْرِيفِ، وَمِنَ التَّصْحِيفِ، وَمِنَ التَّغْيِيرِ وَالتَّبْدِيلِ، وَمِنَ الزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ.

وَأَكْرَمَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا هَذِهِ الْأُمَّةَ بِنَبِيِّهَا الْخَاتَمِ، امْتَنَّ عَلَىٰ الْأُمَّةِ بِبَعْثَتِهِ، بَلْ عَلَىٰ النَّاسِ أَجْمَعِينَ ﷺ، وَأَتَمَّ اللهُ جَلَّ وَعَلَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ الْأُمَّةِ النِّعْمَةَ، فَأَدَّىٰ الرَّسُولُ ﷺ الْأَمَانَةَ، وَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ، وَجَاهَدَ فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ حَتَّىٰ أَتَاهُ الْيَقِينُ.(*).

اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَضَّلَ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِأَسْبَابٍ تَمَيَّزُوا بِهَا وَفَاقُوا بِهَا سَائِرَ الْأُمَمِ، وَأَنَّهُمْ خَيْرُ النَّاسِ لِلنَّاسِ؛ نُصْحًا، وَمَحَبَّةً لِلْخَيْرِ، وَدَعْوَةً، وَتَعْلِيمًا، وَإِرْشَادًا، وَأَمْرًا بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيًا عَنِ الْمُنْكَرِ، وَجَمْعًا بَيْنَ تَكْمِيلِ الْخَلْقِ وَالسَّعْيِ فِي مَنَافِعِهِمْ بِحَسْبِ الْإِمْكَانِ، وَبَيْنَ تَكْمِيلِ النَّفْسِ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ وَالْقِيَامِ بِحُقُوقِ الْإِيمَانِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ -بِاخْتِصَارٍ يَسِيرٍ- مِنْ خُطْبَةِ: «كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ» - الْجُمُعَةُ ١٤ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٢هـ | ١٥-٧-٢٠١١م.

أَنْتُمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرُ أُمَّةٍ أُظْهِرَتْ لِلنَّاسِ، وَحُمِّلَتْ وَظِيفَةَ الْخُرُوجِ بِتَبْلِيغِ النَّاسِ دِينَ اللهِ لَهُمْ، وَهَذِهِ الْخَيْرِيَّةُ قَدْ عَلِمَهَا اللهُ فِيكُمْ قَبْلَ أَنْ يُخْرِجَكُمْ؛ لِأَنَّ عِلْمَهُ يَشْمَلُ مَا كَانَ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ، وَمَا سَيَكُونُ.

وَسَبَبُ بَقَاءِ تِلْكَ الْخَيْرِيَّةِ فِيكُمْ إِلَىٰ أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ أَنَّكُمْ سَتَظَلُّونَ تَأْمُرُونَ دَاخِلَ مُجْتَمَعِكُمُ الْمُسْلِمِ بِمَا عُرِفَ فِي الشَّرْعِ وَالْعَقْلِ حُسْنُهُ، وَتَنْهَوْنَ عَنْ كُلِّ مَا عُرِفَ فِي الشَّرْعِ وَالْعَقْلِ قُبْحُهُ، فَتَحْمُونَ مُجْتَمَعَكُمْ بِهَذَا -أَيْ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنَ الِانْحِرَافِ الْخَطِيرِ، وَالِانْهِيَارِ إِلَىٰ الْحَضِيضِ الَّذِي بَلَغَتْهُ الْأُمَمُ قَبْلَكُمْ.

وَأَنَّكُمْ سَتَظَلُّونَ تُصَدِّقُونَ بِاللهِ، وَتُخْلِصُونَ لَهُ التَّوْحِيدَ وَالْعِبَادَةَ مَهْمَا اشْتَدَّتْ عَلَيْكُمُ النَّكَبَاتُ مِنَ الْأُمَمِ الْأُخْرَىٰ؛ بُغْيَةَ إِخْرَاجِكُمْ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَىٰ الْكُفْرِ.(*).

إِنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- فَضَّلَ هَذِهِ الْأُمَّةَ كَمًّا وَكَيْفًا، وَاللهُ -تَعَالَىٰ- اخْتَارَ وَلَدَ إِسْمَاعِيلَ مِنْ أَجْنَاسِ بَنِي آدَمَ، ثُمَّ اخْتَارَ مِنْهُمْ بَنِي كِنَانَةَ مِنْ خُزَيْمَةَ، ثُمَّ اخْتَارَ مِنْ وَلَدِ كِنَانَةَ قُرَيْشًا، ثُمَّ اخْتَارَ مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، ثُمَّ اخْتَارَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ سَيِّدَ وَلَدِ آدَمَ مُحَمَّدًا ﷺ، كَمَا فِي «الْمُسْنَدِ» عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ حَيْدَةَ مَرْفُوعًا: «**أَنْتُمْ تُوفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً، أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا**».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ»- [آل عمران: ١١٠].

«**أَنْتُمْ تُوفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً**»: أَنْتُمْ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ، «**خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا**».

يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْكُمْ مِثْلُ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ مِنْ جَمِيعِ أَجْنَاسِ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ؛ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ: «**أَمَا إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ**».

هَذِهِ الْأُمَّةُ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، أَفْضَلُ الْأُمَمِ، اخْتَارَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَفْضَلَ الْقِبْلَاتِ، كَمَا اخْتَارَ لَهُمْ أَفْضَلَ الرُّسُلِ، وَأَنْزَلَ عَلَىٰ نَبِيِّهِمْ أَفْضَلَ الْكُتُبِ، وَأَخْرَجَهُمْ مِنْ خَيْرِ الْقُرُونِ، وَخَصَّهُمْ بِأَفْضَلِ الشَّرَائِعِ، وَمَنَحَهُمْ خَيْرَ الْأَخْلَاقِ، وَأَسْكَنَهُمْ خَيْرَ الْأَرْضِ.

فَمَاذَا تُرِيدُونَ بَعْدُ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ؟!!(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «مُحَمَّد أَسَد وَحَقِيقَةُ الدِّينِ» - الْجُمُعَةُ ٢٢ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٢هـ|١٨-١١-٢٠١١م.

الْأُمَّةُ الْوَسَطُ

قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

النَّبِيُّ ﷺ يَحْكِي لَنَا كَمَا فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الَّذِي أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يُدْعَىٰ نُوحٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟**

فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟

فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ.

فَيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟

فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ؛ فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾»[1].

«**مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ**»؛ وَمَا أَتَانَا مِنْ جِنْسِ مَا يُقَالُ لَهُ أَحَدٌ، وَمَا أَتَانَا مِنَ ابْتِدَاءِ مَا يُقَالُ لَهُ أَحَدٌ، هَكَذَا بِجُحُودٍ بِإِنْكَارٍ: مَا أَتَانَا مِنْ أَحَدٍ!!

---

(١) أخرجه البخاري: (٨/ ١٧١-١٧٢، رقم ٤٤٨٧).

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾: وَسَطَ زَمَانٍ بَيْنَ طُفُولَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَاكْتِهَالِهَا؛ إِذْ بَلَغَتْ ذُرْوَةَ نُضْجِهَا. وَسَطَ مَكَانٍ؛ لِأَنَّ اللهَ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- بَعَثَ هَذَا النُّورَ مِنْ مَكَّةَ وَهِيَ مَرْكَزُ الْكَوْنِ لَا مَرْكَزُ الْأَرْضِ هَنْدَسِيًّا؛ بِإِثْبَاتٍ مُنْضَبِطٍ لَا خَلَلَ فِيهِ وَلَا ضَعْفَ يَشُوبُهُ.

فَوَسَطُ زَمَانٍ وَوَسَطُ مَكَانٍ.. وَوَسَطُ اعْتِقَادٍ؛ بِلَا مُغَالَاةٍ فِي إِثْبَاتٍ بِتَجْسِيمٍ، وَلَا مُغَالَاةٍ فِي نَفْيٍ بِتَأْوِيلٍ وَتَعْطِيلٍ، وَإِنَّمَا هُوَ وَسَطٌ مُسْتَقِيمٌ بِوَسَطٍ فِي التَّصَوُّرِ لِيَضَعَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ فِيمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ حَالَاتِهِمْ، وَالشَّيَاطِينِ فِيمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ تَدَنِّيَاتِهِمْ وَتَسَفُّلِهِمْ.

فَيَضَعُ الْمَرْءُ نَفْسَهُ بِتَصَوُّرِهِ بَيْنَ هَذَيْنِ الْقُطْبَيْنِ؛ فَهُوَ الْوَسَطُ بَيْنَهُمَا.

بَيْنَ التَّسْلِيمِ الْمُطْلَقِ؛ إِذْ إِنَّ اللهَ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- قَالَ لِلسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ: ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]؛ وَبَيْنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ وَجُنْدِهِ الَّذِي أَبَىٰ وَتَأَبَّىٰ عَلَىٰ أَمْرِ الْآمِرِ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ؛ فَجَاءَ هَذَا الْإِنْسَانُ بِظُلْمِهِ وَجَهْلِهِ؛ إِذْ عُرِضَتْ عَلَيْهِ الْأَمَانَةُ، وَجَاءَتْهُ الْمَسْئُولِيَّةُ؛ فَلَمْ يَأْبَهَا وَلَمْ يُشْفِقْ مِنْهَا -حَيْثُ أَبَاهَا وَأَشْفَقَ مِنْهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْجِبَالُ- بِظُلْمِهِ وَجَهْلِهِ.

وَلَكِنْ بِهَذَا التَّصَوُّرِ الْمُنْضَبِطِ عَلَىٰ النَّحْوِ الْمُسْتَقِيمِ.

يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَسْأَلُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أُمَّةَ نُوحٍ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟**»

يَقُولُونَ: مَا جَاءَنَا مِنْ نَذِيرٍ، وَمَا جَاءَنَا مِنْ أَحَدٍ.

فَيَقُولُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا **لِنُوحٍ**: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟

فَيَقُولُ: أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ.

قَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «**فَتَشْهَدُونَ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ**»؛ كَمَا أَخْبَرَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِين: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾.

يَدُلُّنَا رَبُّنَا الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ عَلَىٰ أَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ أُمَّةٌ جَعَلَهَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ خِيَارًا فِي خِيَارٍ؛ لِأَنَّ الْوَسَطَ هُوَ الْعَدْلُ وَهُوَ الْخِيَارُ؛ إِذْ هُوَ أَخْيَرُ مَا يَكُونُ، وَإِنْ كَانَ الْقِيَاسُ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ لَا يَأْتِي بِـ(أَفْعَلَ) مِنْهُ إِلَّا عِنْدَ الضَّرُورَةِ، وَلَا ضَرُورَةَ.

وَإِذَنْ؛ فَهُمْ خِيَارُ الْأُمَمِ.. أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ.

كَمَا تَقُولُ: قُرَيْشٌ أَوْسَطُ النَّاسِ.

وَكَمَا تَقُولُ: الْعَصْرُ الصَّلَاةُ الْوُسْطَىٰ.

وَكَمَا تَقُولُ: بُعِثَ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنْ أَوْسَطِهِمْ نَسَبًا.

فَالْأَوْسَطُ: الْخِيَارُ الْعَدْلُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

فَهَذِهِ أُمَّةٌ هِيَ خِيَارُ الْخَلْقِ، وَهَذِهِ أُمَّةٌ هِيَ أَعْدَلُ الْخَلْقِ، وَهَذِهِ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ.

يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»[1] مِنْ رِوَايَةِ أَنَسٍ رضي الله عنه؛ إِذْ مُرَّ عَلَيْهِ بِجِنَازَةٍ فَأَثْنَىٰ النَّاسُ عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ: «**وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ**».

---

(١) «**صحيح البخاري**»: (٣/ ٢٢٨-٢٢٩، رقم ١٣٦٧)، و«**صحيح مسلم**»: (٢/ ٦٥٥، رقم ٩٤٩) واللفظ له.

ثُمَّ مُرَّ بِجِنَازَةٍ فَأَثْنَىٰ النَّاسُ عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «**وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ**».

فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه.. إِذِ الْكَلَامُ وَاحِدٌ، وَالْمَخْرَجُ وَاحِدٌ، وَالْحَدَثَانِ مُخْتَلِفَانِ مُتَبَايِنَانِ؛ مَدْحٌ وَقَدْحٌ، وَثَنَاءٌ بِخَيْرٍ وَثَنَاءٌ بِشَرٍّ، وَالْكَلَامُ وَاحِدٌ فِي الْمُنْتَهَىٰ؛ «**وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ**».

قَالَ: مَا وَجَبَتْ يَا رَسُولَ اللهِ؟

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَمَّا الْأُولَىٰ فَأَثْنَيْتُمْ عَلَيْهَا خَيْرًا، فَوَجَبَتْ لَهَا الْجَنَّةُ، وَأَمَّا الثَّانِيَةُ فَأَثْنَيْتُمْ عَلَيْهَا شَرًّا، فَوَجَبَتْ لَهَا النَّارُ؛ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ**».

النَّبِيُّ ﷺ يَدُلُّنَا عَلَىٰ أَنَّنَا -كَمَا دَلَّنَا رَبُّنَا جَلَّوَعَلَا- أُمَّةُ الشَّهَادَةِ، وَلَكِنْ وَاأَسَفَاهُ! إِنَّ الشَّهَادَةَ وَالشَّاهِدَ لِكَيْ يَكُونَا مَقْبُولَيْنِ لَا بُدَّ مِنْ تَوَفُّرِ شُرُوطٍ؛ فَإِنَّهُ مَا مِنْ أَحَدٍ يَذْهَبُ هَكَذَا إِلَىٰ مَجْلِسِ الْحُكْمِ مَجْلِسِ الْقَضَاءِ أَوْ عِنْدَ جَارِحٍ مُعَدِّلٍ مِنْ عُلَمَائِنَا -رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِمْ- مِنْ أَجْلِ أَنْ يَكُونَ مَقْبُولَ الرِّوَايَةِ مَقْبُولَ الْأَثَرِ؛ وَلَكِنْ لَا بُدَّ مِنْ تَوَفُّرِ شُرُوطٍ وَانْتِفَاءِ مَوَانِعَ.

نَعَمْ، لَا بُدَّ مِنَ النَّظَرِ فِي الشَّهَادَةِ وَالشَّاهِدِ.

وَبِالْجُمْلَةِ؛ فَإِنَّ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَتَوَفَّرَ فِي الشَّاهِدِ فِي أُمَّةِ الشَّهَادَةِ لَا فِي شَهَادَتِهَا؛ فَشَهَادَتُهَا عَلَىٰ الْأُمَمِ شَهَادَةٌ بِأَمْرِ اللهِ وَأَمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَلَكِنْ.. الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَتَوَفَّرَ فِي الْأُمَّةِ فِي شُهُودِهَا لِكَيْ يَكُونُوا مَقْبُولِينَ عُدُولًا أَمْرَانِ، وَالْأُمَّةُ كُلُّهَا شَاهِدَةٌ؛ لِأَنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ لَمْ يَسْتَثْنِ مِنْهَا ظَاهِرًا أَحَدًا، فَلَا بُدَّ مِنْ تَوَفُّرِ هَذَا الْأَمْرِ فِي أَفْرَادِهَا.

مَا هُوَ؟

هُمَا أَمْرَانِ كَبِيرَانِ:

لَا بُدَّ مِنْ أَهْلِيَّةٍ تُثْبِتُ تَمَامَ الْعَقْلِ لَا سَفَهَهُ، وَلَا خَوَرَهُ، وَلَا ضَعْفَهُ، وَلَا شَتَاتَهُ؛ فَهِيَ مُقَوِّمَاتٌ عَقْلِيَّةٌ بِعَدَالَةٍ تَلْحَقُ بِالْأَهْلِيَّةِ، وَهَذِهِ تُثْبِتُ الْمُقَوِّمَاتِ الْأَخْلَاقِيَّةَ.

فَهُمَا أَمْرَانِ: مُقَوِّمَاتٌ عَقْلِيَّةٌ، وَمُقَوِّمَاتٌ أَخْلَاقِيَّةٌ.

وَأَنْتَ خَبِيرٌ بِأَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ الَّتِي هِيَ أُمَّةُ الشُّهُودِ أُمَّةُ الشَّهَادَةِ.. هَذِهِ الْأُمَّةُ عِنْدَمَا أَنْزَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَىٰ نَبِيِّهِ ﷺ قَوْلَهُ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٣].

هَذِهِ الْآيَةُ مَدَنِيَّةٌ فِي مَوْضِعَيْنِ:

هَذِهِ الْآيَةُ مَدَنِيَّةٌ فِي «بَرَاءَةَ»؛ فِي «التَّوْبَةِ»، مَدَنِيَّةٌ -أَيْضًا- فِي «الصَّفِّ»؛ فِي «سُورَةِ الصَّفِّ»، فِي مَوْضِعَيْنِ هَكَذَا بِنَصِّهَا: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ ﴾؛ لِيَجْعَلَهُ غَالِبًا ظَاهِرًا مُسْتَقِرًّا عَلَىٰ أَعْلَى الْقِمَمِ عَلَىٰ قَامَاتِ الذُّرَىٰ ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾.

وَالْآنَ عُدْ بِعَقْلِيَّةِ الْقَرْنِ الْحَادِي وَالْعِشْرِينَ، وَبِذِهْنِيَّةِ الْقَرْنِ الْحَادِي وَالْعِشْرِينَ؛ عُدْ إِلَىٰ ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَتَأَمَّلْ فِي خَرِيطَةِ الْأَدْيَانِ، وَسَتَجِدُ مَا يَلِي:

أَمَّا أَنَّهَا مَدَنِيَّةٌ، فَمَعْنَاهُ أَنَّهَا نَزَلَتْ بَعْدَ الْهِجْرَةِ، وَكَانَتْ مَكَّةُ قَدْ أَطْبَقَتْ عَلَىٰ الْكُفْرِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ مِمَّنْ يَتَخَفَّىٰ، يَتَزَيَّلُ هَاهُنَا وَهُنَالِكَ بِإِيمَانِهِ يَخْشَىٰ الْمَمَاتَ وَيَحْذَرُ الْقَتْلَ، وَأَمَّا الْمَدِينَةُ فَصَارَتْ قَاعِدَةً.

وَإِذَنْ؛ فَخَرِيطَةُ الْأَدْيَانِ فِي الْعَالَمِ هَكَذَا:

الدِّيَانَةُ الْفَارِسِيَّةُ بِعِبَادَةِ النَّارِ فِي فَارِسَ وَمَا دَخَلَ مَعَهَا فِي دِينِهَا، وَمَنْ دَخَلَ؛ فَهَذِهِ مِسَاحَةٌ كَبِيرَةٌ لَوْ أَنَّكَ ظَلَّلْتَ مُلَوِّنًا مِسَاحَةً مِنْ خَرِيطَةِ الْأَدْيَانِ عِنْدَ بَعْثَةِ النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ لَكَانَتْ وَاسِعَةً شَاسِعَةً.

ثُمَّ تَرَىٰ الدِّيَانَةَ الْهِنْدُوكِيَّةَ لِأُولَئِكَ الَّذِينَ كَانُوا فِي الْهِنْدِ وَمَا جَاوَرَهَا، وَالزِّرَادَشْتِيَّةَ، وَمَا أَشْبَهَ مِنْ تِلْكَ الدِّيَانَاتِ.

ثُمَّ النَّصَارَىٰ هُنَالِكَ عِنْدَ الدَّوْلَةِ الْبِيزَنْطِيَّةِ، وَمَا كَانَ عِنْدَ سَاحِلِ الْبَحْرِ الْأَبْيَضِ.

وَالْيَهُودُ؛ وَكَانُوا جُمْلَةً مُتَنَاثِرِينَ هَاهُنَا وَهُنَالِكَ.

ظَلِّلْ.. ظَلِّلْ أَخِي، ثُمَّ الْتَفِتْ أَيْنَ هُوَ لَوْنُ الْإِسْلَامِ فِي خَرِيطَةِ الْأَدْيَانِ عِنْدَ نُزُولِ الْآيَةِ عَلَىٰ قَلْبِ الْهُمَامِ ﷺ؟!!

نُقْطَةٌ مَغْمُورَةٌ فِي كَوْنٍ كَبَحْرٍ لُجِّيٍّ، فِي كَوْنٍ مُتَرَامِي الْأَطْرَافِ، وَتَرَىٰ الظِّلَالَ فَاقِعَاتٍ بَاهِتَاتٍ هَاهُنَا وَهُنَالِكَ وَهُنَاكَ، ثُمَّ لَا تَجِدُ لِلْإِسْلَامِ عَلَىٰ خَرِيطَةِ

الْأَدْيَانِ عِنْدَمَا نَزَلَتِ الْآيَةُ مُتَحَدِّيَةً: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾.

فَهَذِهِ الْخَرِيطَةُ سَتُسْتَبْدَلُ بَعْدَ حِينٍ.

هَذِهِ الْخَرِيطَةُ لَا قِيمَةَ لَهَا فِي حَقِيقَتِهَا.

هَزْلٌ فِي هَزْلٍ، وَعَبَثُ أَطْفَالٍ يَتَرَفَّعُ عَنْهُ الْكِبَارُ مِنْ أَصْحَابِ الْحُلُومِ مِنْ أَصْحَابِ الْعُقُولِ.. لَا شَيْءَ؛ مَعَ أَنَّ النُّقْطَةَ هُنَالِكَ فِي الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ نُقْطَةٌ تَائِهَةٌ فِي كَوْنِ اللهِ جَلَّوَعَلَا.

وَنَعَمْ! إِنَّ أَكْبَرَ وَجْهٍ مِنْ وُجُوهِ الْإِعْجَازِ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ بَعْدَ تِلْكَ الْوُجُوهِ الَّتِي عَدَّدَهَا عُلَمَاؤُنَا السَّابِقُونَ -عَلَيْهِمُ الرَّحْمَةُ-؛ فَكَتَبُوا مَا كَتَبُوا وَدَوَّنُوا مَا دَوَّنُوا مِنْ أَسْفَارٍ، وَرَقَمُوا مَا رَقَمُوا مِنْ سُطُورٍ، وَأَتَوْا بِكُلِّ مُعْجِزٍ عَلَىٰ الْمُسْتَوَىٰ الْإِنْسَانِيِّ.

وَلَكِنْ.. مَكْمَنُ الْإِعْجَازِ الْحَقِّ فِي كِتَابِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَنَّهُ كِتَابُ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَكَلَامُهُ.

عُدِ الْآنَ لِذِهْنِيَّةِ الْقَرْنِ الْحَادِي وَالْعِشْرِينَ، وَإِمْكَانَاتِ الْقَرْنِ الْحَادِي وَالْعِشْرِينَ إِلَىٰ ذَلِكَ الزَّمَانِ؛ وَانْظُرْ: أَيْنَ تَجِدُ الْإِسْلَامَ عَلَىٰ خَارِطَةِ الْأَدْيَانِ؟!!

نُقْطَةٌ تَائِهَةٌ، غَيْرَ أَنَّهَا تَمْلِكُ بِذَاتِهَا قُوَّةَ وُجُودِهَا بِأَمْرِ رَبِّهَا؛ فَمَا تَزَالُ تَتَنَامَىٰ، وَالْآخَرُونَ يَمْلِكُونَ قُوَّةَ دَمَارِهِمْ فِي ذَوَاتِهِمْ بِأَمْرِ رَبِّهِمْ؛ فَمَا يَزَالُونَ يَضْمَحِلُّونَ يَتَضَاءَلُونَ، حَتَّىٰ وَصَلَ الْأَمْرُ إِلَىٰ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ يَتَنَامَىٰ وَسَيَصِلُ إِلَىٰ مَا يُرِيدُهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

فَمَا زَالَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ بِآفَاقِهِ بَقِيَّةٌ بَاقِيَةٌ هِيَ عَظِيمَةٌ جِدًّا لِهَذِهِ الْآيَةِ الْجَلِيلَةِ الْبَاهِرَةِ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾.

هُوَ أَمْرُ اللهِ يَا صَاحِ.

هُوَ أَمْرُ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الَّذِي يَقُولُ لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُونُ؛ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا ﴾؛ الْأُمَّةُ الْوَسَطُ يَقُولُ فِيهَا الْمُخْتَارُ ﷺ عِنْدَمَا صَعِدَ يَوْمًا الْمِنْبَرَ بِـ(الْبَنَاوَةِ)، وَغَيْرُ ذَلِكَ قِيلَ فِي اسْمِهَا، وَهِيَ مِنَ الطَّائِفِ.. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يُوشِكُ أَنْ تَعْرِفُوا أَهْلَ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ**».

قَالُوا: وَبِمَ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ؟

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**بِالثَّنَاءِ الْحَسَنِ، وَالثَّنَاءِ السَّيِّءِ؛ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ**»(١).

فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ الْأَمْرَ كَذَلِكَ.

---

(١) أخرجه ابن ماجه: (٢/ ١٤١١، رقم ٤٢٢١)، عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي زُهَيْرٍ الثَّقَفِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالنَّبَاوَةِ، أَوِ الْبَنَاوَةِ، قَالَ: -وَالنَّبَاوَةُ مِنَ الطَّائِفِ-، قَالَ: «**يُوشِكُ أَنْ تَعْرِفُوا أَهْلَ الْجَنَّةِ، مِنْ أَهْلِ النَّارِ**»،... الحديث.
وحسنه لغيره الألباني في تخريجه علىٰ «**شرح الطحاوية**»: (ص٣٧٨، رقم ٤٨٩)، وروي عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ وأنسٍ رضي الله عنهما، مرفوعًا، بنحوه.

وَأَمْرٌ آخَرُ هُوَ مِنْ بَابَتِهِ، وَكُلُّهُ أَعْلَىٰ وَأَجَلُّ.

أَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»(١) **عَنْ أَبِي الأَسْوَدِ، قَالَ:** قَدِمْتُ المَدِينَةَ وَقَدْ وَقَعَ بِهَا مَرَضٌ، فَجَلَسْتُ إِلَىٰ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه، فَمَرَّتْ بِهِمْ جِنَازَةٌ، فَأُثْنِيَ عَلَىٰ صَاحِبِهَا خَيْرًا، فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: وَجَبَتْ، ثُمَّ مُرَّ بِأُخْرَىٰ فَأُثْنِيَ عَلَىٰ صَاحِبِهَا خَيْرًا، فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: وَجَبَتْ، ثُمَّ مُرَّ بِالثَّالِثَةِ فَأُثْنِيَ عَلَىٰ صَاحِبِهَا شَرًّا، فَقَالَ: وَجَبَتْ.

فَقَالَ أَبُو الأَسْوَدِ: فَقُلْتُ: وَمَا وَجَبَتْ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ؟

قَالَ: قُلْتُ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَيُّمَا مُسْلِمٍ شَهِدَ لَهُ أَرْبَعَةٌ بِخَيْرٍ، أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ**».

فَقُلْنَا: وَثَلَاثَةٌ؟

قَالَ: «**وَثَلَاثَةٌ**».

فَقُلْنَا: وَاثْنَانِ؟

قَالَ: «**وَاثْنَانِ**»، ثُمَّ لَمْ نَسْأَلْهُ عَنِ الْوَاحِدِ.

«**بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ شَهِيدٌ**»(٢).

---

(١) «**صحيح البخاري**»: (٣/ ٢٢٩، رقم ١٣٦٨).

(٢) أخرج أبو داود: (٣/ ٢١٨، رقم ٣٢٣٣)، والنسائي: (٤/ ٥٠)، وابن ماجه: (١/ ٤٧٨، رقم ١٤٩٢)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ:

=

فِي هَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ أَخْبَرَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَنَّنَا سَنَكُونُ شُهَدَاءَ عَلَىٰ النَّاسِ.

وَمَا عِلْمُنَا بِبَلَاغِ نُوحٍ قَوْمَهُ؟!!

وَمَا عِلْمُنَا بِأَنَّ نُوحًا ظَلَّ يَدْعُو قَوْمَهُ إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْتِزَامِ صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ، وَجَعْلِ الْأَصْنَامِ دَبْرَ الْأَقْدَامِ وَالْآذَانِ؟!! مَنْ أَدْرَانَا بِذَلِكَ؟!!

أَدْرَانَا بِهِ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ.

فَالشَّهَادَةُ هِيَ الشَّهَادَةُ.

وَأَمَّا الشُّهُودُ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونُوا حَائِزِينَ لِأَمْرَيْنِ كَبِيرَيْنِ، وَإِلَّا فَإِنَّ الشَّاهِدَ الَّذِي اخْتَلَّتْ أَهْلِيَّتُهُ -أَهْلِيَّةُ شَهَادَتِهِ- لَا تُقْبَلُ شَهَادَتُهُ، الَّذِي أَصَابَتْهُ اللُّوثَةُ، وَالَّذِي أَدْرَكَهُ الْجُنُونُ، وَالَّذِي وَقَعَ فِي خَلَلِ السَّفَهِ، وَالَّذِي أَتَاهُ مَا أَتَاهُ مِنْ تِلْكَ الْأُمُورِ الَّتِي تُخِلُّ بِإِدْرَاكِهِ وَتُفْسِدُ عَلَيْهِ تَصَوُّرَهُ.

هَذَا الْأَمْرُ الْكَبِيرُ يَكُونُ -حِينَئِذٍ- مُخْتَلًّا فِيمَنْ يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ شَاهِدًا، وَإِذَنْ؛ فَهُوَ مَرْدُودُ الشَّهَادَةِ لَا يُقْبَلُ مِنْهُ شَيْءٌ فِي هَذِهِ الشَّهَادَةِ الْجَلِيلَةِ عَلَىٰ الْأُمَمِ.

وَأَمَّا الْأَمْرُ الثَّانِي؛ فَهُوَ الْمَنْحَىٰ الْأَخْلَاقِيُّ الَّذِي جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ.

=

مَرُّوا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِجِنَازَةٍ فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ: «**وَجَبَتْ**» ثُمَّ مَرُّوا بِأُخْرَىٰ فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ: «**وَجَبَتْ**» ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ شُهَدَاءُ**».

وفي رواية: «**الْمَلَائِكَةُ شُهَدَاءُ اللهِ فِي السَّمَاءِ، وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ**».

والحديث صححه الألباني في «**الصحيحة**»: (٦/ ١٩٢-١٩٣، رقم ٢٦٠٠).

الْعَدَالَةُ بِالْبُعْدِ عَنْ كُلِّ مَا يَشِينُ، بِالْبُعْدِ عَنْ كُلِّ مَا يَطْعَنُ فِي هَذَا الْأَدِيمِ الطَّاهِرِ فِي هَذَا الْقَلْبِ الصَّافِي الَّذِي فَطَرَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَيْهِ الْإِنْسَانَ؛ فَلَوَّثَتْهُ مُلَوِّثَاتُ الْمُجْتَمَعِ، وَتَصَوُّرَاتٌ يَتَقَمَّمُهَا الْمَرْءُ مِنْ زِبَالَاتِ أَفْكَارِ وَفَلْسَفَاتِ الْأُمَمِ.

وَأَمَّا عِنْدَ الْعَوْدَةِ؛ فَحِينَئِذٍ تَكُونُ الْأُمَّةُ حَائِزَةً لِهَذَيْنِ الشَّرْطَيْنِ.

وَنَحْنُ لَا يُمْكِنُ بِحَالٍ أَبَدًا أَنْ نُعْطِيَ شَيْئًا.. وَلَا يُمْكِنُ بِحَالٍ أَبَدًا أَنْ نَتَحَصَّلَ عَلَىٰ شَيْءٍ إِلَّا إِذَا مَا عَلَوْنَا فَوْقَ الْأَحْدَاثِ.. فَوْقَ الْمَوَاقِفِ.. فَوْقَ الدُّنْيَا بِمُوَاضَعَاتِهَا؛ فَكُنَّا فَوْقَ الْقِمَّةِ السَّامِقَةِ تَفَرُّدًا بِالشُّمُوخِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَكُونَ الذِّهْنُ صَافِيًا، وَمِنْ أَجْلِ أَنْ يَكُونَ الْعَقْلُ مُدْرِكًا.

وَأَمَّا عِنْدَ التَّلَوُّثِ فِي هَذَا الْمُجْتَمَعِ بِأَفْكَارِهِ، فَكَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يُعْطِيَ الْمَرْءُ مَا هُوَ فَاقِدُهُ؟!! وَفَاقِدُ الشَّيْءِ لَا يُعْطِيهِ!

وَحَقًّا لَوْ أَنَّكَ نَظَرْتَ إِلَىٰ أَرْضٍ تَحْتَاجُ مَاءً، وَكَانَ الْمَاءُ أَدْنَىٰ.. وَكَانَ الْمَاءُ فِي مُسْتَوًىٰ أَوْطَأَ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ؛ فَكَيْفَ يُعْطِيهَا؟!! وَكَيْفَ يَرْوِيهَا؟!!

وَانْظُرِ الْآنَ فِيمَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ؛ لَا بُدَّ أَنْ يَعْلُوَ الْمَاءُ إِلَىٰ مُسْتَوًىٰ أَعْلَىٰ مِنْ مُسْتَوَىٰ الْأَرْضِ الَّتِي يُرِيدُ أَنْ يُرْوِيَهَا وَأَنْ يُرَوِّيَهَا.

لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الْمَاءُ الْمُعْطِي فِي مَكَانٍ أَعْلَىٰ وَمُسْتَوًىٰ أَجَلَّ؛ مِمَّا يُمَكِّنُ أَنْ يَؤْخَذَ مِنْهُ، وَيُفِيدَ بِهِ، وَيُتَحَصَّلَ عَلَىٰ الْخَيْرِ مِنْ وَرَائِهِ.

وَكَذَا الْمُسْلِمُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مُرْتَفِعًا بِتِلْكَ النُّقْطَةِ الْمُتَوَهِّجَةِ بَيْنَ الْإِمْكَانِ الْحَضَارِيِّ وَالْإِرَادَةِ الْحَضَارِيَّةِ الضَّابِطَةِ.

الْإِمْكَانُ الْحَضَارِيُّ: هُوَ السَّيْطَرَةُ عَلَىٰ مَقَالِيدِ الْقُوَىٰ الْمُتَاحَةِ لِلْبَشَرِ فِي الْكَوْنِ الَّذِي خَلَقَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مُسَخَّرًا لِلْبَشَرِ.

هَذَا هُوَ الْإِمْكَانُ الْحَضَارِيُّ؛ يَسْعَىٰ فِي امْتِلَاكِهِ مَنْ يَسْعَىٰ، وَفِي تَحْصِيلِهِ مَنْ يُحَصِّلُ.

أَتَىٰ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِالْإِشَارَةِ بِهَذَا التَّوَازُنِ.. بِهَذَا الْوَسَطِ الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَائِمًا فِي كَوْنِهِ مُحَقَّقًا فِي بَعْضِ خَلْقِهِ زَمَانًا وَمَكَانًا، وَاعْتِقَادًا وَسُلُوكًا، وَأَخْلَاقًا وَمُعَامَلَةً، وَبُرْهَانًا لِلْعَالَمِ جَمِيعِهِ عَلَىٰ أَنَّ دِينَ اللهِ جَلَّوَعَلَا هُوَ الضَّابِطُ لِلْحَيَاةِ الصَّحِيحَةِ، وَهُوَ الْهَادِي لِلْحَيَاةِ الْمُهْتَدِيَةِ النَّظِيفَةِ، وَهُوَ الْحَاكِمُ لِأَمْرِ الْوُجُودِ حَتَّىٰ لَا تَنْحَرِفَ الْقَافِلَةُ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ؛ لِيَكُونَ بُرْهَانًا قَائِمًا فِي أَرْضِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مُطَبَّقًا بِعَمَلٍ عَلَىٰ خَلْقٍ مِنْ خَلْقِ اللهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ.

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾؛ فَهَذِهِ الْأُمَّةُ الْوَسَطُ تُحَقِّقُ نِسْبَةَ التَّوَازُنِ بَيْنَ الْإِمْكَانِ الْحَضَارِيِّ بِتَمَلُّكِ الْقُوَّةِ وَالْإِرَادَةِ الْحَضَارِيَّةِ، بِتَصْرِيفِ الْقُوَّةِ عَلَىٰ الْمُسْتَوَىٰ الشَّخْصِيِّ وَعَلَىٰ الْمُسْتَوَىٰ الْجَمَاعِيِّ الْأُمَمِيِّ، حَيْثُ تَكُونُ الْأُمَّةُ وَسَطِيَّةً بِحَقٍّ فِي دُنْيَا اللهِ.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةٍ: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا» - الْجُمُعَةُ ١٢ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٢٦هـ| ١٦-٩-٢٠٠٥م.

قَالَ الشَّيْخُ السَّعْدِيُّ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:١٤٣].

قَالَ: «ذَكَرَ فِي هَذِهِ الآيَةِ السَّبَبَ المُوجِبَ لِهِدَايَةِ هَذِهِ الأُمَّةِ مُطْلَقًا بِجَمِيعِ أَنْوَاعِ الْهِدَايَةِ، وَمِنَّةَ اللهِ عَلَيْهَا؛ فَقَالَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾؛ أَيْ: عَدْلًا خِيَارًا، وَمَا عَدَا الْوَسَطِ فَأَطْرَافٌ دَاخِلَةٌ تَحْتَ الْخَطَرِ، فَجَعَلَ اللهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ وَسَطًا فِي كُلِّ أُمُورِ الدِّينِ:

وَسَطًا فِي الْأَنْبِيَاءِ، بَيْنَ مَنْ غَلَا فِيهِمْ كَالنَّصَارَىٰ، وَبَيْنَ مَنْ جَفَاهُمْ، كَالْيَهُودِ، بِأَنْ آمَنُوا بِهِمْ كُلِّهِمْ عَلَىٰ الْوَجْهِ اللَّائِقِ بِذَلِكَ.

وَوَسَطًا فِي الشَّرِيعَةِ: لَا بِتَشْدِيدَاتِ الْيَهُودِ وَآصَارِهِمْ، وَلَا بِتَهَاوُنِ النَّصَارَىٰ.

وَفِي بَابِ الطَّهَارَةِ وَالْمَطَاعِمِ: لَا كَالْيَهُودِ الَّذِين لَا تَصِحُّ لَهُمْ صَلَاةٌ إِلَّا فِي بِيَعِهِمْ وَكَنَائِسِهِمْ، وَلَا يُطَهِّرُهُمُ الْمَاءُ مِنَ النَّجَاسَاتِ، وَقَدْ حُرِّمَتْ عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٌ عُقُوبَةً لَهُمْ، وَلَا كَالنَّصَارَىٰ الَّذِينَ لَا يُنَجِّسُونَ شَيْئًا، وَلَا يُحَرِّمُونَ شَيْئًا، بَلْ أَبَاحُوا مَا دَبَّ وَدَرَجَ.

بَلْ طَهَارَتُهُمْ أَكْمَلُ طَهَارَةٍ وَأَتَمُّهَا، وَأَبَاحَ اللهُ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ وَالْمَلَابِسِ وَالْمَنَاكِحِ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ مِنْ ذَلِكَ.

فَلِهَذِهِ الْأُمَّةِ مِنَ الدِّينِ أَكْمَلُهُ، وَمِنَ الْأَخْلَاقِ أَجَلُّهَا، وَمِنَ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُهَا، وَوَهَبَهُمُ اللهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالْحِلْمِ وَالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ مَا لَمْ يَهَبْهُ لِأُمَّةٍ سِوَاهُمْ، فَلِهَذَا كَانُوا ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾، كَامِلِينَ مُعْتَدِلِينَ.

لِيَكُونُوا ﴿شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾؛ بِسَبَبِ عَدَالَتِهِمْ وَحُكْمِهِمْ بِالْقِسْطِ، يَحْكُمُونَ عَلَىٰ النَّاسِ مِنْ سَائِرِ الْأَدْيَانِ، وَلَا يَحْكُمُ عَلَيْهِمْ غَيْرُهُمْ، فَمَا شَهِدَتْ لَهُ هَذِهِ الأُمَّةُ بِالقَبُولِ فَهُوَ مَقْبُولٌ، وَمَا شَهِدَتْ لَهُ بِالرَّدِّ فَهُوَ مَرْدُودٌ»[1]. (*).

❀❀❀

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (١/ ١٠٣).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ -بِاخْتِصَارٍ وَتَصَرُّفٍ- مِنْ كِتَابِ «دَعَائِمُ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ» (مِنْ ص٣٤٧ إِلَىٰ ٣٧٤).

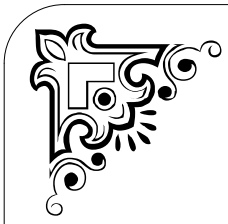

أُمَّةٌ مُتَمَيِّزَةٌ مَتْبُوعَةٌ لَا تَابِعَةٌ

عِبَادَ اللهِ! هَذِهِ الْأُمَّةُ أُمَّةٌ مُتَمَيِّزَةٌ؛ لِأَنَّهَا مَتْبُوعَةٌ وَلَيْسَتْ بِتَابِعَةٍ.

هَذِهِ الْأُمَّةُ أُمَّةٌ مَتْبُوعَةٌ، وَلَيْسَتْ بِتَابِعَةٍ، وَقَدْ أَغْنَاهَا اللهُ بِعَقِيدَتِهَا، وَبِشَرِيعَتِهَا عَنِ التَّشَبُّهِ بِغَيْرِهَا.

أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ[1] بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ؛ حَتَّىٰ يُعْبَدَ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَىٰ مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ**».

«**وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ**».

---

(١) ذكره البخاري معلقًا في «**الصحيح**»: (٦/ ٩٨)، وأخرجه موصولًا أبو داود: (٤/ ٤٤، رقم ٤٠٣١) مختصرًا، وأحمد: (٢/ ٥٠ و٩٢)، وابن أبي شيبة: (٥/ ٣١٣)، وعبد بن حميد كما في «**المنتخب من مسنده**»: (ص٢٦٧، رقم ٨٤٨)، والطحاوي في «**شرح المشكل**»: (١/ ٢١٣، رقم٢٣١).

والحديث صححه الألباني في «**إرواء الغليل**»: (٥/ ١٠٩-١١١، رقم ١٢٦٩)، وله شاهد من رواية طاووس، مرسلًا، بنحوه.

هَذِهِ أُمَّةٌ مَتْبُوعَةٌ، وَلَيْسَتْ بِأُمَّةٍ تَابِعَةٍ، أَغْنَاهَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ -بِدِينِهَا، بِعَقِيدَتِهَا وَشَرِيعَتِهَا- عَنْ أَنْ تَتَشَبَّهَ بِغَيْرِهَا مِنَ الْأُمَمِ، فَضْلًا عَنْ أَنْ تَتَّبِعَ الْأُمَمَ -مِنْ كَافِرَةٍ وَمُلْحِدَةٍ- حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ، أَغْنَاهَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ.

قَالَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا: ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

فَنَهَىٰ عَنْ مُطْلَقِ الْمُشَابَهَةِ لِلْأُمَمِ السَّابِقَةِ، وَلِجَمِيعِ أَهْلِ الْأَرْضِ مِمَّنْ لَيْسَ عَلَىٰ الْحَقِّ.

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٠٤].

﴿لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا﴾، وَهَذِهِ كَلِمَةٌ؛ لِأَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا يَقُولُونَ: ﴿وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ﴾ [النساء: ٤٦]، وَهِيَ مِنَ الرُّعُونَةِ -يَقْصِدُ ذَلِكَ الْيَهُودُ- لَا مِنَ الرِّعَايَةِ كَمَا يَقْصِدُ الْأَصْحَابُ رضي الله عنهم.

فَلَمَّا وَقَعَتِ الْمُشَابَهَةُ وَتَمَّتِ الْمُوَاطَأَةُ بَيْنَ (رَاعِنَا) وَ(رَاعِنَا) -لَفْظًا لَا مَعْنًىٰ- نَهَاهُمُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَنْهَا: ﴿وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ﴾.

﴿لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾ كَمَا يَقُولُ الْيَهُودُ، ﴿وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ﴾[1].

---

(١) أخرج الطبري: (١/ ٤٦٩-٤٧٠)، بإسناد صحيح، عَنْ قَتَادَةَ: في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾، قال: «قَوْلٌ كَانَتْ تَقُولُهُ الْيَهُودُ اسْتِهْزَاءً، فَزَجَرَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَقُولُوا كَقَوْلِهِمْ».

=

يَنْهَىٰ عَنِ الْمُشَابَهَةِ.

وَالنَّبِيُّ ﷺ يُحَذِّرُنَا مِنْ ذَلِكَ، وَيُنْذِرُنَا مِنْ أَنْ نَتَوَرَّطَ فِي «**مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ**».

عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ(١) بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي عُمَيْرِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ عُمُومَةٍ لَهُ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي أَمْرِ الْأَذَانِ، لَمَّا أَهَمَّ أَمْرُ الْأَذَانِ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَرَىٰ الصَّحَابِيُّ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ وَيَعْتَمِدَهَا رَسُولُ اللهِ، فَأَهَمَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمْرُ جَمْعِ الْمُسْلِمِينَ إِلَىٰ الصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوضَةِ؛ فَذُكِرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ الْقُنْعُ -يَعْنِي الشَّبُّورَ؛ وَهُوَ الْبُوقُ- فَقَالَ: «**هُوَ مِنْ أَمْرِ الْيَهُودِ**»، فَكَرِهَهُ.

فَذُكِرَ لَهُ النَّاقُوسُ؛ فَقَالَ: «**هُوَ مِنْ أَمْرِ النَّصَارَىٰ**»، حَتَّىٰ رَأَىٰ عَبْدُ اللهِ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ رَبِّهِ رُؤْيَاهُ رضي الله عنه

«**الْأَذَانُ لَنَا، الشَّبُّورُ لِغَيْرِنَا، النَّاقُوسُ لَيْسَ لَنَا**»، أُمَّةٌ مُتَمَيِّزَةٌ، بِذَا قَضَىٰ رَبُّنَا، وَبِذَا جَاءَ نَبِيُّنَا ﷺ، تَذُوبُ فِيهَا الْأُمَمُ وَلَا تَذُوبُ هِيَ فِي الْأُمَمِ، مَتْبُوعَةٌ لَا تَابِعَةٌ.

عِنْدَ مُسْلِمٍ(٢) مِنْ رِوَايَةِ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ رضي الله عنه نَهَىٰ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الصَّلَاةِ حِينَ

=

والأثر عزاه السيوطي في «**الدر المنثور**»: (١/ ١٠٤) -أيضًا- إلىٰ عبد بن حميد وأبي نعيم، وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَأَبِي الْعَالِيَةِ وَأَبِي مَالِكٍ وَالرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ وابن زيد وَعَطِيَّةَ الْعَوْفِيِّ، نَحْوُ ذَلِكَ.

(١) «**سنن أبي داود**»: (١/ ١٣٤-١٣٥، رقم ٤٩٨).

والحديث صححه الألباني في «**صحيح أبي داود**»: (٢/ ٤٠٤-٤٠٥، رقم ٥١١).

(٢) «**صحيح مسلم**»: (١/ ٥٦٩-٥٧٠، رقم ٨٣٢).

=

تَطْلُعُ الشَّمْسُ وَحِينَ تَغْرُبُ، وَعَلَّلَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: «**لِأَنَّهَا تَطْلُعُ وَتَغْرُبُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ**».

فَنَهَىٰ عَنْ مُشَابَهَةِ الْكُفَّارِ.

وَعِنْدَ مُسْلِمٍ(١) مِنْ رِوَايَةِ جُنْدُبٍ يَرْفَعُهُ: «**أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ، وَكَذَا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ صَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ؛ فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ**».

فَنَهَىٰ عَنِ الْمُشَابَهَةِ، وَسَدَّ الذَّرِيعَةَ إِلَىٰ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ وَعِبَادَةِ الْقُبُورِ.

وَعِنْدَ أَبِي دَاوُدَ(٢) بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ، عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رضي الله عنه يَرْفَعُهُ: «**خَالِفُوا الْيَهُودَ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يُصَلُّونَ فِي نِعَالِهِمْ وَلَا فِي خِفَافِهِمْ**».

وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ(٣) بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما نَهْيَ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَجْلِسَ الرَّجُلُ فِي الصَّلَاةِ مُعْتَمِدًا عَلَىٰ يَدِهِ الْيُسْرَىٰ، وَقَالَ: «**إِنَّهَا صَلَاةُ الْيَهُودِ**».

=

والحديث في الصحيحين من رواية ابن عمر رضي الله عنهما، بنحوه.

(١) «**صحيح مسلم**»: (١/ ٣٧٧-٣٧٨، رقم ٥٣٢).

والحديث في الصحيحين من رواية عائشة وابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهم، بنحوه.

(٢) «**سنن أبي داود**»: (١/ ١٧٦، رقم ٦٥٢).

والحديث صحح إسناده الألباني في «**صحيح أبي داود**»: (٣/ ٢٢٤-٢٢٥، رقم ٦٥٩)، وله شاهد من رواية أنس رضي الله عنه، مرفوعًا، بنحوه.

(٣) «**المستدرك**» للحاكم: (١/ ٢٧٢)، ومن طريقه: البيهقي في «**السنن الكبرىٰ**»: (٢/ ١٣٦).

=

وَفِي رِوَايَةٍ: «**إِنَّمَا هَذِهِ جِلْسَةُ الَّذِينَ يُعَذَّبُونَ**»(١).

فَلَا تَتَشَبَّهُوا بِهِمْ؛ لَا بِالَّذِينِ يُعَذَّبُونَ، وَلَا بِالْيَهُودِ.

وَقَالَ ﷺ: «**اللَّحْدُ لَنَا، وَالشَّقُّ لِغَيْرِنَا**»(٢).

=

وأخرجه أيضًا: أبو داود: (١/ ٢٦٠-٢٦١، رقم ٩٩٢)، بلفظ: «**نَهَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَجْلِسَ الرَّجُلُ فِي الصَّلَاةِ وَهُوَ مُعْتَمِدٌ عَلَىٰ يَدِهِ**»، وفي رواية له: «**نَهَىٰ أَنْ يَعْتَمِدَ الرَّجُلُ عَلَىٰ يَدِهِ فِي الصَّلَاةِ**».

قال الحاكم: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ»، وكذا صححه الألباني في «**صحيح أبي داود**»: (٤/ ١٤٦-١٤٨، رقم ٩١١).

(١) أخرجها أحمد: (٢/ ١١٦)، والطبراني في «**الأوسط**»: (٩/ ٦٢-٦٣، رقم ٩١٢٩)، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، مرفوعًا:

أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَأَىٰ رَجُلًا سَاقِطًا يَدَهُ فِي الصَّلَاةِ، فَقَالَ: «**لَا تَجْلِسْ هَكَذَا؛ إِنَّمَا هَذِهِ جِلْسَةُ الَّذِينَ يُعَذَّبُونَ**».

وهذه الرواية حسن إسنادها الألباني في «**صحيح أبي داود**»: (٤/ ١٤٩-١٥٠، رقم ٩١٣) وفي «**الضعيفة**»: (٢/ ٣٩١)، وقد أخرجها أبو داود: (١/ ٢٦١، رقم ٩٩٤) وغيره، موقوفة علىٰ ابن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أبو داود: (٣/ ٢١٣، رقم ٣٢٠٨)، والترمذي: (٣/ ٣٥٤، رقم ١٠٤٥)، والنسائي: (٤/ ٨٠)، وابن ماجه: (١/ ٤٩٦، رقم ١٥٥٤ و١٥٥٥)، من حديث: ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما.

قال الترمذي: «حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ»، قال الألباني في هامش «**مشكاة المصابيح**»: (١/ ٥٣٣، رقم ١٦٩٧).: «وهو كما قال»، وحسنه بشواهده.

حَتَّىٰ بَعْدَ الْوَفَاةِ، حَتَّىٰ فِي الْقُبُورِ، نَتَمَيَّزُ حَتَّىٰ فِي الْقُبُورِ، نَتَمَيَّزُ فِي الدَّفْنِ، فِي الْقُبُورِ!!

يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ حَقِيقَةَ دِينِ النَّبِيِّ الْأَمِينِ ﷺ.

يَقُولُ ﷺ: «**فَصْلُ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ أَكْلَةُ السَّحَرِ**»(١).

وَيَقُولُ ﷺ: «**لَئِنْ عِشْتُ إِلَىٰ قَابِلٍ لَأَصُومَنَّ التَّاسِعَ**»(٢)، وَذَلِكَ لَمَّا صَامَ عَاشُورَاءَ، وَكَانَتِ الْيَهُودُ تَصُومُهُ؛ فَأَرَادَ مُخَالَفَةَ الْيَهُودِ ﷺ، مَا زَالَ يُخَالِفُهُمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّىٰ قَالُوا: «مَا يُرِيدُ هَذَا الرَّجُلُ أَنْ يَدَعَ لَنَا أَمْرًا إِلَّا خَالَفَنَا فِيهِ»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم: (٢/ ٧٧٠-٧٧١، رقم ١٠٩٦)، من حديث: عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم: (٢/ ٧٩٧-٧٩٨، رقم ١١٣٤)، من حديث: ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: حِينَ صَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّهُ يَوْمٌ تُعَظِّمُهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَإِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ -إِنْ شَاءَ اللهُ- صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ**»، فَلَمْ يَأْتِ الْعَامُ الْمُقْبِلُ حَتَّىٰ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

وفي رواية له: «**لَئِنْ بَقِيتُ إِلَىٰ قَابِلٍ لَأَصُومَنَّ التَّاسِعَ**».

(٣) أخرج مسلم: (١/ ٢٤٦، رقم ٣٠٢)، من حديث: أَنَسٍ رضي الله عنه، قال: أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا إِذَا حَاضَتِ الْمَرْأَةُ فِيهِمْ لَمْ يُؤَاكِلُوهَا، وَلَمْ يُجَامِعُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ، فَسَأَلَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿**وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ**﴾ [البقرة: ٢٢٢] إِلَىٰ آخِرِ الْآيَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا النِّكَاحَ**»، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْيَهُودَ، فَقَالُوا: مَا يُرِيدُ هَذَا الرَّجُلُ أَنْ يَدَعَ مِنْ أَمْرِنَا شَيْئًا إِلَّا خَالَفَنَا فِيهِ،...الحديث.

نَعَمْ، هُوَ مَتْبُوعٌ، لَا تَابِعٌ، اتَّبِعُوهُ تُفْلِحُوا ﷺ.

نَهَىٰ عَنِ الذَّبْحِ بِالسِّنِّ وَالظُّفُرِ، وَعَلَّلَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: «**فَأَمَّا السِّنُّ فَعَظْمٌ، وَأَمَّا الظُّفُرُ فَمُدَىٰ الْحَبَشَةِ**»(١).

وَقَالَ ﷺ: «**خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ؛ أَحْفُوا الشَّوَارِبَ، وَأَعْفُوا اللِّحَىٰ**»(٢).

وَفِي حَدِيثٍ: «**أَرْخُوا اللِّحَىٰ**»(٣).

وَهَذَا يَتَنَاقَضُ مَعَ قَوْلِ الضُّلَّالِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: جُمْهُورُ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ عَلَىٰ تَحْدِيدِ اللِّحْيَةِ!!

جُمْهُورِيٌّ.. جُمْهُورِيٌّ هُوَ!! وَأَمَّا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَيَقُولُ: «**أَرْخُوا..**»، «**وَفِّرُوا..**».

---

(١) أخرجه البخاري: (٥/ ١٣١، رقم ٢٤٨٨)، ومسلم: (٣/ ١٥٥٨-١٥٥٩، رقم ١٩٦٨)، من حديث: رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري: (١٠/ ٣٤٩ و٣٥١، رقم ٥٨٩٢ و٥٨٩٣)، ومسلم: (٢/ ٢٢٢، رقم ٢٥٩)، من حديث: ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما.

وفي رواية البخاري: «**خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ: وَفِّرُوا اللِّحَىٰ**،...»، وفي الأخرىٰ: «**انْهَكُوا الشَّوَارِبَ، وَأَعْفُوا اللِّحَىٰ**».

(٣) أخرجه مسلم: (١/ ٢٢٢، رقم ٢٦٠)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**جُزُّوا الشَّوَارِبَ، وَأَرْخُوا اللِّحَىٰ، خَالِفُوا الْمَجُوسَ**».

وفي رواية لأحمد: (٢/ ٢٢٩): «**قُصُّوا الشَّوَارِبَ، وَأَعْفُوا اللِّحَىٰ**»، وفي أخرىٰ له (٢/ ٣٥٦ و٣٨٧): «**خُذُوا مِنَ الشَّوَارِبِ**،...».

يَقُولُ ﷺ -حَتَّىٰ فِي السَّلَامِ-: «**لَا تُسَلِّمُوا تَسْلِيمَ الْيَهُودِ؛ فَإِنَّ تَسْلِيمَهُمْ بِالرُّءُوسِ وَالْأَكُفِّ وَالْإِشَارَةِ**»(١).

«**لَا تُسَلِّمُوا تَسْلِيمَ الْيَهُودِ!**».

وَعَنِ الشَّرِيدِ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ: «مَرَّ بِي رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَنَا جَالِسٌ هَكَذَا؛ وَقَدْ وَضَعْتُ يَدِي الْيُسْرَىٰ خَلْفَ ظَهْرِي وَاتَّكَأْتُ عَلَىٰ أَلْيَةِ يَدِي -لَمْ يَكُنْ فِي صَلَاةٍ، وَإِنَّمَا مَرَّ بِهِ فِي جِلْسَةٍ عَادِيَّةٍ، وَقَدْ جَعَلَ يَدَهُ الْيُسْرَىٰ خَلْفَ ظَهْرِهِ وَاتَّكَأَ عَلَىٰ أَلْيَةِ يَدِهِ الْيُسْرَىٰ- فَقَالَ: «**أَتَقْعُدُ قِعْدَةَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ؟!!**»(٢). وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

---

(١) أخرجه النسائي في «**السنن الكبرىٰ**»: (٩/ ١٣٤، رقم ١٠١٠٠)، والطبراني في «**مسند الشاميين**»: (١/ ٢٨٩، رقم ٥٠٣)، والبيهقي في «**شعب الإيمان**»: (١١/ ٢٦٣-٢٦٤، رقم ٨٥٢٠)، من حديث: جَابِرٍ رضي الله عنه.

وفي رواية: «...، **فَإِنَّ تَسْلِيمَ الْيَهُودِ بِالْأَكُفِّ، وَتَسْلِيمَ النَّصَارَىٰ بِالْإِشَارَةِ**»، وفي أخرىٰ: «...، **فَإِنَّ تَسْلِيمَهُمْ إِشَارَةٌ بِالْكُفُوفِ وَالْحَوَاجِبِ**».

والحديث جود إسناده الحافظ ابن حجر في «**الفتح**»: (١١/ ١٤ و١٩)، وحسنه بشواهده الألباني في «**جلباب المرأة المسلمة**»: (ص١٩٣-١٩٦)، وله شاهد من رواية ابن عمرو رضي الله عنهما، مرفوعًا، بنحوه.

(٢) أخرجه أبو داود: (٤/ ٢٦٣، رقم ٤٨٤٨).

وفي رواية: «**وَضَعَ رَاحَتَيْهِ عَلَىٰ الْأَرْضِ وَرَاءَ ظَهْرِهِ**».

والحديث صححه الألباني في «**جلباب المرأة المسلمة**»: (ص١٩٦-١٩٧).

وَهَذَا سِوَىٰ الْحَدِيثِ الَّذِي مَرَّ عَنِ النَّهْيِ عَنْ الِاعْتِمَادِ عَلَىٰ الْيَدِ الْيُسْرَىٰ فِي الصَّلَاةِ، وَقَالَ: «**إِنَّهَا صَلَاةُ الْيَهُودِ**»، أَوْ «**هِيَ جِلْسَةُ الْمُعَذَّبِينَ**»، وَأَمَّا هُنَا فَهِيَ قِعْدَةُ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ.

حَتَّىٰ فِي جِلْسَةِ الْمَرْءِ الْعَادِيَّةِ، كُلُّ ذَلِكَ يَتَتَبَّعُهُ الرَّسُولُ ﷺ، بَلْ مِمَّا هُوَ أَعْلَىٰ مِنْ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَصِلُ إِلَيْهِ الْوَهْمُ، يَقُولُ: «**نَظِّفُوا أَفْنِيَتَكُمْ**..»، وَفِي حُكْمِهَا الْيَوْمَ مَا أَمَامَ الْبُيُوتِ مِنَ الشَّوَارِعِ وَغَيْرِهَا، «**نَظِّفُوا أَفْنِيَتَكُمْ وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ، تَجْمَعُ الْأَكْبَاءَ**[1] **فِي دُورِهَا**»[2]. وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ.

إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ النُّصُوصِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَىٰ تَمَيُّزِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِشَخْصِيَّتِهَا الْمُتَفَرِّدَةِ الْمُتَمَيِّزَةِ، هِيَ أُمَّةُ التَّوْحِيدِ وَأُمَّةُ الِاتِّبَاعِ، فَهِيَ قَائِدَةٌ لَا مَقُودَةٌ، وَمَتْبُوعَةٌ لَا تَابِعَةٌ، هِيَ أُمَّةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَدْ حَقَّقَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَهَا التَّمَيُّزَ فِي كُلِّ شَيْءٍ.

لَمَّا هَاجَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ اسْتَمَرَّ فِي الِاتِّجَاهِ فِي صَلَاتِهِ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا -كَمَا فِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ عَلَىٰ

---

(١) جمع (كِبَا) بالكسر والقصر، مِثْلُ مِعًىٰ وأَمْعاء، وَهِي الْكُنَاسَةُ.
انظر: «**لسان العرب**»: (١٥/ ٢١٣)، مادة: (كبا).

(٢) أخرجه الترمذي: (٢/ ١١١، رقم ٢٧٩٩)، والبزار في «**المسند**»: (٣/ ٣٢٠، رقم ١١١٤)، وأبو يعلىٰ في «**المسند**»: (٢/ ١٢١-١٢٢، رقم ٧٩٠ و٧٩١) وغيرهم، من حديث: سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه.
والحديث حسنه الألباني في «**جلباب المرأة المسلمة**»: (ص١٩٧-١٩٨).

التَّرَدُّدِ-، وَفِي مُنْتَصَفِ رَجَبٍ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ لِلْهِجْرَةِ أَمَرَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِالتَّحَوُّلِ فِي صَلَاتِهِ إِلَىٰ الْكَعْبَةِ قِبْلَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ(١).

تَحْوِيلُ الْقِبْلَةِ لَنَا دَلَالَتُهُ وَعَلَامَتُهُ..

نَحْنُ أُمَّةٌ مُتَمَيِّزَةٌ؛ رَبُّهَا وَاحِدٌ، وَنَبِيُّهَا وَاحِدٌ، وَكِتَابُهَا وَاحِدٌ، وَقِبْلَتُهَا وَاحِدَةٌ، وَهَدَفُهَا وَاحِدٌ: إِقَامَةُ دِينِ اللهِ فِي أَرْضِ اللهِ عَلَىٰ خَلْقِ اللهِ، تَعْبِيدُ الْخَلْقِ لِلْخَلَّاقِ الْعَظِيمِ، هَذَا هَدَفُهَا، تَعْبُدُ رَبَّهَا، وتُعَبِّدُ الْخَلْقَ لَهُ جَلَّوَعَلَا، وَهِيَ مُتَمَيِّزَةٌ فِي هَذَا كُلِّهِ.

نَهَانَا رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **عَنْ مُشَابَهَةِ الْمُشْرِكِينَ؛ فَقَالَ** جَلَّوَعَلَا: ﴿ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [الروم:٣٢].

وَنَتَحَدَّىٰ أَحَدًا عِنْدَهُ ذَرْوٌ مِنْ عَقْلٍ أَنْ يَقُولَ: إِنَّ الْقَدْرَ الْأَخِيرَ مِنَ الْآيَةِ -﴿كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾- لَا يَنْطَبِقُ عَلَىٰ الْمُتَحَزِّبِينَ لِلْأَحْزَابِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْأَحْزَابِ السِّيَاسِيَّةِ.

---

(١) أخرجه البخاري: (١/ ٩٥، رقم ٤٠)، ومسلم: (١/ ٣٧٤، رقم ٥٢٥)، من حديث: البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ:
«صَلَّىٰ قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا -أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا- وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ الْبَيْتِ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [البقرة: ١٤٤]، فَتَوَجَّهَ نَحْوَ الكَعْبَةِ».

لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ عِنْدَهُ ذَرْوٌ مِنْ عَقْلٍ أَنْ يَقُولَ: إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِفَرِحِينَ بِحِزْبِهِمْ، بَلْ: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾، وَإِلَّا فَلَوْ لَمْ يَكُونُوا كَذَلِكَ فَلِمَ لَمْ يَكُونُوا حِزْبًا وَاحِدًا؟!!

مَزَّقُوا الْأُمَّةَ، وَشَابَهُوا الْمُشْرِكِينَ، وَفَرَّقُوا الْأُمَّةَ، وَدَعَوْا إِلَىٰ التَّحَزُّبِ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَىٰ الْبَغْضَاءِ وَالتَّنَافُسِ فِي أَمْرٍ سِوَىٰ أَمْرِ الْآخِرَةِ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ -بِاخْتِصَارٍ يَسِيرٍ- مِنْ خُطْبَةِ: «كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ» - الْجُمُعَةُ ١٤ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٢هـ | ١٥-٧-٢٠١١م.

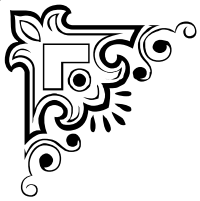

وُجُوهُ وَأَدِلَّةُ خَيْرِيَّةِ النَّبِيِّ ﷺ

عِبَادَ اللهِ! إِنَّ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِعِبَادِهِ أَنْ أَرْسَلَ فِيهِمْ رُسُلَهُ يُبَشِّرُونَ وَيُنْذِرُونَ، كُلَّمَا ذَهَبَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، حَتَّىٰ خَتَمَهُمْ بِنَبِيِّ الرَّحْمَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَقَدِ امْتَنَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَىٰ الثَّقَلَيْنِ بِرِسَالَتِهِ ﷺ؛ قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾ [النحل: ٣٦].

وَلَقَدِ اخْتَارَ مِنْهُمْ سَيِّدَهُمْ وَإِمَامَهُمْ فَجَعَلَهُ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ، وَهُوَ صَفْوَةُ الْمُرْسَلِينَ، وَاخْتَصَّهُ اللهُ -تَعَالَىٰ- بِخَصَائِصَ وَمَزَايَا لَمْ يَشْرَكْهُ فِيهَا أَحَدٌ مِنَ الْمُرْسَلِينَ، وَاخْتَصَّ اللهُ -تَعَالَىٰ- أُمَّتَهُ بِخَصَائِصَ لَيْسَتْ لِغَيْرِهَا مِنَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ.

*** وَمِنَ الْمَزَايَا الَّتِي امْتَازَ بِهَا ﷺ عَلَىٰ غَيْرِهِ مِنَ الْمُرْسَلِينَ -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ- أَنْ بَعَثَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَىٰ الْأَسْوَدِ وَالْأَحْمَرِ، بَلْ إِلَىٰ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ جَمِيعًا؛** كَمَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا عَنِ الْجِنِّ الَّذِينَ اسْتَمَعُوا لِقِرَاءَتِهِ ﷺ ثُمَّ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ: ﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأحقاف: ٣١-٣٢].

وَقَالَ ﷺ -فِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَىٰ صِحَّتِهِ(١)-: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي..**»، فَذَكَرَ مِنْ بَيْنِهَا: «**وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَىٰ قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَىٰ النَّاسِ عَامَّةً**».

وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ [سبأ: ٢٨].

وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وَقَدْ أَوْضَحَ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ كَمَا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»(٢).

قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ رحمه الله: «مِصْدَاقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥ ﴾ [هود: ١٧]»(٣).

---

(١) «**صحيح البخاري**»: (١/ ٤٣٥-٤٣٦، رقم ٣٣٥) واللفظ له، و«**صحيح مسلم**»: (١/ ٣٧٠، رقم ٥٢١)، من حديث: جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنهما.
ولفظ مسلم: «...، **وَبُعِثْتُ إِلَىٰ كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ**،...»، وفي رواية للبخاري أيضًا: (١/ ٥٣٣، رقم ٤٣٨): «...، **وَبُعِثْتُ إِلَىٰ النَّاسِ كَافَّةً**،...».

(٢) أخرجه مسلم: (١/ ١٣٤، رقم ١٥٣).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «**التفسير**»: (٢/ ١٨٥، رقم ١١٩٤)، وسعيد بن منصور في «**السنن**»: (٥/ ٣٤١-٣٤٢، رقم ١٠٨٤)، والطبري في «**جامع البيان**»: (١٢/ ١٩)، =

وَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «**لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ**»؛ يَعْنِي: أُمَّةَ الدَّعْوَةِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَرْسَلَهُ ﷺ إِلَىٰ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ جَمِيعًا فِي مُطْلَقِ الزَّمَانِ وَمُطْلَقِ الْمَكَانِ، لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ.

فَكُلُّ مَنْ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ مُنْذُ بِعْثَتِهِ ﷺ مِنَ الْأَبْيَضِ وَالْأَحْمَرِ، وَالْأَسْوَدِ وَالْأَصْفَرِ، وَالْإِنْسِ وَالْجِنِّ.. كُلُّهُمْ أُمَّةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

هُمْ أُمَّةُ الدَّعْوَةِ، يَدْعُوهُمْ جَمِيعًا، وَكُلُّهُمْ مُكَلَّفٌ بِالِامْتِثَالِ لِأَمْرِهِ، وَالْإِيمَانِ بِهِ، وَاتِّبَاعِ شَرِيعَتِهِ؛ فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَهُوَ فِي النَّارِ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ الْمُخْتَارُ ﷺ.

فَأُمَّةُ الدَّعْوَةِ تَشْمَلُ كُلَّ مَنْ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ مُنْذُ بِعْثَتِهِ إِلَىٰ الْقِيَامَةِ؛ فَالْيَهُودُ، وَالنَّصَارَىٰ، وَالْبُوذِيُّونَ، وَالْمُلْحِدُونَ، وَالَّذِينَ يَعْبُدُونَ النُّجُومَ مِنَ الصَّابِئَةِ وَغَيْرِهِمْ؛ كُلُّ هَؤُلَاءِ أُمَّةُ رَسُولِ اللهِ، يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ دِينِ اللهِ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؛ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ الْمُخْتَارُ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي**

=

وابن أبي حاتم في «**التفسير**»: (٦/ ٢٠١٥، رقم ١٠٧٦٩)، بإسناد صحيح، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ:

«كُنْتُ لَا أَسْمَعُ بِحَدِيثٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَىٰ وَجْهِهِ، إِلَّا وَجَدْتُ مِصْدَاقَهُ فِي الْقُرْآنِ، فَبَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَلَا يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ لَا يُؤْمِنُ بِمَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا دَخَلَ النَّارَ**»، فَجَعَلْتُ أَقُولُ: أَيْنَ مِصْدَاقُهَا؟ حَتَّىٰ أَتَيْتُ عَلَىٰ هَذَا: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ [هود: ١٧]».

قَالَ: «فَالْأَحْزَابُ: الْمِلَلُ كُلُّهَا».

والأثر صحح إسناده الألباني في «**الصحيحة**»: (٧/ ٢٤٥-٢٥١، رقم ٣٠٩٣).

أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»(١).

﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ [هود: ١٧].

وَلَا شَكَّ أَنَّ أَعْظَمَ نِعْمَةٍ أَنْعَمَ اللهُ بِهَا عَلَىٰ أَهْلِ الْأَرْضِ هِيَ إِرْسَالُ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّذِي أَكْمَلَ اللهُ بِهِ الدِّينَ، وَجَعَلَهُ حُجَّةً عَلَىٰ النَّاسِ أَجْمَعِينَ.

وَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ جَلَّوَعَلَا فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ وَابْنِهِ إِسْمَاعِيلَ أَنَّهُمَا دَعَوَا اللهَ -تَعَالَىٰ- لِأَهْلِ الْحَرَمِ -وُهُمَا يَبْنِيَانِ الْبَيْتَ- بِأَدْعِيَةٍ؛ مِنْهَا: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩].

وَقَدْ أَجَابَ اللهُ -تَعَالَىٰ- دُعَاءَهُمَا؛ فَبَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ وَفِي غَيْرِهِمْ مُحَمَّدًا ﷺ، أَرْسَلَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ.

وَتِلْكَ النِّعْمَةُ الْعُظْمَىٰ، وَالْمِنَّةُ الْكُبْرَىٰ، نَوَّهَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِهَا فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ مِنْ كِتَابِهِ الْمَجِيدِ؛ فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٢-٤].

---

(١) تقدم تخريجه.

وَمِنْهَا قَوْلُه تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

* إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ خَصَّهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِخَصَائِصَ؛ أَخَذَ الْعَهْدَ لَهُ ﷺ عَلَىٰ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ أَنَّهُمْ إِذَا ظَهَرَ فِي عَصْرِ الْوَاحِدِ مِنْهُمْ تَبِعَهُ.

وَالرَّسُولُ ﷺ يَقُولُ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ كَانَ مُوسَىٰ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي»(١).

هُوَ الْمَتْبُوعُ حَقًّا ﷺ، لَوْ بُعِثَ وَهُمْ أَحْيَاءُ -أَوْ أَحَدٌ مِنْهُمْ- فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ وَيَتَّبِعُوهُ وَيَنْصُرُوهُ، أُخِذَ الْعَهْدُ عَلَيْهِمْ عَلَىٰ ذَلِكَ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة: (٩/ ٤٧)، وأحمد: (٣/ ٣٣٧ و ٣٨٧)، والدارمي: (١/ ٤٠٣، رقم ٤٤٩)، والبزار كما في «**الزوائد**»: (١/ ٧٨ - ٧٩، رقم ١٢٤)، وابن أبي عاصم في «**السنة**»: (١/ ٢٧، رقم ٥٠)، من حديث: جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه، قال:
أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكُتُبِ، فَقَرَأَهُ عَلَىٰ النَّبِيُّ ﷺ فَغَضِبَ، وَقَالَ: «**أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَىٰ كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي**».
والحديث حسنه الألباني في «**إرواء الغليل**»: (٦/ ٣٤، رقم ١٥٨٩).

عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه **قَالَ**: «مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِلَّا أَخَذَ عَلَيْهِ الْمِيثَاقَ: لَئِنْ بُعِثَ مُحَمَّدٌ وَهُوَ حَيٌّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلَيَنْصُرَنَّهُ»(١)، وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ الْمِيثَاقَ عَلَىٰ أُمَّتِهِ لَئِنْ بُعِثَ مُحَمَّدٌ وَهُمْ أَحْيَاءُ لَيُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَيَنْصُرُنَّهُ».

مَاذَا تُرِيدُ بَعْدَ هَذَا؟!!

الْأَنْبِيَاءُ كُلُّهُمْ وَالْمُرْسَلُونَ لَهُ تَبَعٌ.. وَهُوَ إِمَامُهُمْ؛ الْإِمَامُ الْأَعْظَمُ الَّذِي لَوْ وُجِدَ فِي أَيِّ عَصْرٍ وُجِدَ لَكَانَ الْوَاجِبُ أَنْ يُطَاعَ، وَلَكَانَ الْوَاجِبُ أَنْ يُقَدَّمَ عَلَىٰ الْأَنْبِيَاءِ؛ لِذَلِكَ كَانَ إِمَامَهُمْ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ.

وَعِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ عِلْمٌ تَامٌّ بِهَذَا الْأَمْرِ، يَعْرِفُونَ مَبْعَثَهُ، وَمَكَانَ هِجْرَتِهِ، وَوَرَدَ وَصْفُهُ الشَّرِيفُ فِي كُتُبِهِمْ، يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ؛ فَالرَّجُلُ يَعْرِفُ ابْنَهُ وَلَوْ كَانَ فِي وَسَطِ أُلُوفٍ مُؤَلَّفَةٍ مِنْ أَبْنَاءِ غَيْرِهِ، يَسْتَدِلُّ عَلَيْهِ، يَعْرِفُونَ رَسُولَ اللهِ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ؛ ﴿**ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ**﴾؛ وَالضَّمِيرُ يَعُودُ إِلَىٰ النَّبِيِّ، ﴿**يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ١٤٦](٢).

---

(١) أخرجه الطبري في «**جامع البيان**»: (٣/ ٣٣٢)، من طريق: سَيْف بْنِ عُمَرَ، عَنْ أَبِي رَوْقٍ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: «لَمْ يَبْعَثِ اللهُ ﷻ نَبِيًّا، آدَمَ فَمَنْ بَعْدَهُ، إِلَّا أَخَذَ عَلَيْهِ الْعَهْدَ فِي مُحَمَّدٍ،...».

وهو أيضا قول ابن عباس وطاووس والحسن وقتادة والسدي وغيرهم.

(٢) أخرج عبد الرزاق في «**تفسيره**»: (٢/ ٤٧، رقم ٧٨٨)، والبخاري في «**خلق أفعال العباد**»: (ص٩٣)، والطبري في «**جامع البيان**»: (٧/ ١٦٤)، وابن أبي حاتم في

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وَصْفُهُ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ ﷺ، وَقَدْ سُئِلَ ابْنُ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ وَصْفِ النَّبِيِّ، قَالَ: أَجَلْ وَاللهِ؛ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤٥].

فِي التَّوْرَاةِ: «**وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، فَأَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا صَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللهُ حَتَّىٰ يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ، بِأَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا**». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»(١).

هَذِهِ صِفَتُهُ فِي التَّوْرَاةِ.

* **وَهُوَ أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا ﷺ؛ «مَا مِنَ نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِلَّا أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا عَلَىٰ مِثْلِهِ آمَنَ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُهُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو**

=

«تفسيره»: (٣/ ١٢٧٢-١٢٧٣، رقم ٧١٧٠)، بإسناد صحيح، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾، قَالَ: «الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ يَعْرِفُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي كِتَابِهِمْ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ».

وهو أيضا قول مجاهد وابن جريج والسدي وغيرهم، واختاره ابن جرير الطبري.

(١) «**صحيح البخاري**»: (٤/ ٣٤٢ - ٣٤٣، رقم ٢١٢٥) و(٨/ ٥٨٥، رقم ٤٨٣٨).

أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ القِيَامَةِ»(١).

قَالَ ﷺ: «**أَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ(٢).

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَمْ يُصَدَّقْ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَا صُدِّقْتُ، وَإِنَّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيًّا مَا يُصَدِّقُهُ مِنْ أُمَّتِهِ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ**».

وَقَدْ عُرِضَتْ عَلَيْهِ الْأُمَمُ فَرَأَىٰ سَوَادًا عَظِيمًا هُوَ أَعْظَمُ مَا يَكُونُ مِنَ الْأَسْوِدَةِ، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ؛ كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(٣).

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ؟**».

قُلْنَا: نَعَمْ.

قَالَ: «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ؟».

قُلْنَا: نَعَمْ.

---

(١) أخرجه البخاري: (٩/ ٥، رقم ٤٩٨١) و(١٣/ ٢٤٧، رقم ٧٢٧٤)، ومسلم: (١/ ١٣٤، رقم ١٥٢)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم: (١/ ١٨٨، رقم ١٩٦)، من حديث: أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه.

وفي رواية له: «**أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الْجَنَّةِ، لَمْ يُصَدَّقْ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَا صُدِّقْتُ، وَإِنَّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيًّا مَا يُصَدِّقُهُ مِنْ أُمَّتِهِ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ**».

(٣) «**صحيح البخاري**»: (١١/ ٤٠٥ - ٤٠٦، رقم ٦٥٤١)، و «**صحيح مسلم**»: (١/ ١٩٩، رقم ٢٢٠)، من حديث: ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما

قَالَ: «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الجَنَّةِ؟»؛ أَيْ: نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

قُلْنَا: نَعَمْ.

قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الجَنَّةِ».

وَالْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(١).

فَالنَّبِيُّ ﷺ يَدْخُلُ مِنْ أَتْبَاعِهِ الْجَنَّةَ نِصْفُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَسَائِرُ الْأَنْبِيَاءِ أَتْبَاعُهُمْ فِي النِّصْفِ، فَمَنْ يُدْرِكْ هَذَا النَّبِيَّ الْكَرِيمَ الْعَظِيمَ فِي مَقَامِهِ عِنْدَ رَبِّهِ؟!! ﷺ.

وَقَدْ نَفَعَ اللهُ بِهِ النَّفْعَ الْعَامَّ، وَأَحْيَا بِهِ مِنَ الْمَوَاتِ.

وَتَأَمَّلْ.. نِصْفُ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ أَتْبَاعِ مُحَمَّدٍ ﷺ!! وَكَانَتْ دَعْوَتُهُ ثَلَاثَةً وَعِشْرِينَ عَامًا، ثُمَّ قُبِضَ إِلَىٰ رَبِّهِ، مُنْذُ بُعِثَ إِلَىٰ أَنْ قُبِضَ مَرَّ مِنَ الزَّمَانِ ثَلَاثَةٌ وَعِشْرُونَ عَامًا، وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ نِصْفُ أَهْلِ الْجَنَّةِ!!

نُوحٌ عليه السلام ظَلَّ يَدْعُو قَوْمَهُ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ**﴾ [هود: ٤٠].

---

(١) «**صحيح البخاري**»: (١١/ ٣٧٨ و٥٢٥، رقم ٦٥٢٨ و٦٦٤٢)، و«**صحيح مسلم**»: (١/ ٢٠٠-٢٠١، رقم ٢٢١)، من حديث: ابن مسعود رضي الله عنه.
والحديث في الصحيحين أيضا من رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

تَأَمَّلْ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ الطَّوِيلَةِ مَعَ مَنْ آمَنَ، وَفِي تِلْكَ الْمُدَّةِ الْقَصِيرَةِ مَعَ مَنْ آمَنَ؛ لِتَرَىٰ كَيْفَ بَارَكَ اللهُ فِي دَعْوَةِ نَبِيِّهِ وَخَلِيلِهِ وَصَفِيِّهِ وَكَلِيمِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَالنَّبِيُّ ﷺ فِي الْمِعْرَاجِ لَمَّا جَاوَزَ مُوسَىٰ صُعُدًا بَكَىٰ؛ فَقِيلَ: مَا يُبْكِيكَ وَأَنْتَ الْكَلِيمُ؟

قَالَ: «**أَبْكِي لِأَنَّ غُلَامًا بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي!!**». وَالْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(١).

* **وَالنَّبِيُّ ﷺ غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ**، وَكَانَ يَحْيَا فِي الْحَيَاةِ وَهُوَ يَعْلَمُ يَقِينًا أَنَّ اللهَ غَفَرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ.

* **وَهُوَ ﷺ فِي الْقِيَامَةِ صَاحِبُ الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ ﷺ، صَاحِبُ الشَّفَاعَةِ الْعُظْمَىٰ**؛ كُلُّ الْأَنْبِيَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ قَائِلُهُمْ: نَفْسِي نَفْسِي! إِلَّا مُحَمَّدًا ﷺ يَقُولُ: «**أُمَّتِي أُمَّتِي**».

كُلُّهُمْ؛ أَعْنِي أُولِي الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ: نُوحًا، وَإِبْرَاهِيمَ، وَمُوسَىٰ، وَعِيسَىٰ.. فَهَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةُ مِنْ أُولِي الْعَزْمِ مَعَ أَبِيهِم آدَمَ يَقْصِدُهُمُ الْخَلَائِقُ فِي الْقِيَامَةِ لِيَشْفَعُوا عِنْدَ رَبِّنَا؛ لِيَبْدَأَ فِي فَصْلِ الْقَضِيَّةِ بَيْنَ الْخَلْقِ فِي الْمَوْقِفِ.

---

(١) «**صحيح البخاري**»: (٧/ ٢٠١-٢٠٣، رقم ٣٨٨٧)، و«**صحيح مسلم**»: (١/ ١٤٩-١٥١، رقم ١٦٤)، من حديث: مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وهو جزء من حديث المعراج.

وفي رواية: «...، **يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَفْضَلُ مِمَّا يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي**،...».

فَكُلُّهُمْ يَذْكُرُ شَيْئًا إِلَّا عِيسَىٰ، وَكُلُّهُمْ يُرْشِدُ إِلَىٰ مَنْ بَعْدَهُ، وَكُلٌّ يَقُولُ: لَا أَسْأَلُ الْيَوْمَ إِلَّا نَفْسِي! حَتَّىٰ تَصِلَ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ فَيَقُولُ: «**أَنَا لَهَا، أَنَا لَهَا**»(١)، ﷺ.

أَسْأَلُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنْ يَجْعَلَنَا مِمَّنْ يَتَمَسَّكُ بِسُنَّتِهِ، وَيَعْرِفُ لَهُ قَدْرَهُ، وَيُعَظِّمُهُ، وَيُعَزِّرُهُ، وَيُوَقِّرُهُ، وَيُؤْمِنُ بِهِ كَمَالَ الْإِيمَانِ وَتَمَامَ الْإِيمَانِ.

❀❀❀

(١) جزء من حديث الشفاعة، أخرجه البخاري: (١٣/ ٤٧٣-٤٧٤، رقم ٧٥١٠)، ومسلم: (١/ ١٨٠-١٨٤، رقم ١٩٣)، من حديث: أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه.

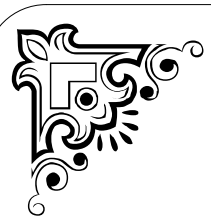

جُمْلَةٌ مِنْ مَظَاهِرِ تَعْظِيمِ اللهِ لِلنَّبِيِّ ﷺ

عِبَادَ اللهِ! مِنْ مَظَاهِرِ تَعْظِيمِ اللهِ لِنَبِيِّهِ وَتَوْقِيرِهِ لَهُ: أَنْ أَقْسَمَ بِحَيَاتِهِ؛

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢].

وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَىٰ شَرَفِ حَيَاتِهِ ﷺ.

وَلِلهِ جَلَّوَعَلَا أَنْ يُقْسِمَ بِمَا شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ، أَمَّا نَحْنُ فَلَا نُقْسِمُ إِلَّا بِهِ؛ «**وَمَنْ أَقْسَمَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ**»(١).

وَفِي رِوَايَةٍ: «**فَقَدْ كَفَرَ**».

وَفِي رِوَايَةٍ: «**فَقَدْ أَشْرَكَ وَكَفَرَ**».

---

(١) أخرجه أبو داود: (٣/ ٢٢٣، رقم ٣٢٥١)، والترمذي: (٤/ ١١٠-١١١، رقم ١٥٣٥)، وأحمد: (٢/ ١٢٥، رقم ٦٠٧٢)، والحاكم: (١/ ١٨، رقم ٤٥)، من حديث: ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ»، وقال الحاكم: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ»، وكذا صححه الألباني في «**إرواء الغليل**»: (٨/ ١٨٩-١٩١، رقم ٢٥٦١)، وأصله في الصحيحن بلفظ: «**أَلَا إِنَّ اللهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أَوْ لِيَصْمُتْ**».

*** مِنْ تَعْظِيمِ اللهِ وَتَوْقِيرِهِ لِنَبِيِّهِ ﷺ: أَنَّهُ نَادَاهُ بِأَحَبِّ الْأَلْقَابِ وَأَسْنَىٰ الْأَوْصَافِ،** وَلَيْسَ فِي الْقُرْآنِ كُلِّهِ نِدَاءٌ لِلنَّبِيِّ بِاسْمِهِ، لَيْسَ فِيهِ: يَا أَحْمَدُ، وَلَا: يَا مُحَمَّدُ، وَإِنَّمَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ فَاتِحَتِهِ إِلَىٰ خَاتِمَتِهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾.

وَمَنْ دُونَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ يُنَادَوْنَ بِأَسْمَائِهِمْ:

﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ﴾ [البقرة: ٣٥].

﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ﴾ [المائدة: ١١٠].

﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠].

﴿يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ﴾ [هود: ٤٨].

﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [ص: ٢٦].

﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾ [الصافات: ١٠٤-١٠٥].

﴿قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾[هود: ٨١].

﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾[مريم: ٧].

﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ﴾[مريم: ١٢].

إِلَّا الرَّسُولَ؛ فَلَا يُنَادَىٰ إِلَّا بِـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾.

قَالَ الْإِمَامُ الصَّرْصَرِيُّ:

وَدَعَا الْإِلَهُ الرُّسْلَ كُلًّا بِاسْمِهِ وَدَعَاكَ وَحْدَكَ بِالرَّسُولِ وَبِالنَّبِيِّ

صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وَهَذَا كُلُّهُ يُرْشِدُنَا إِلَىٰ مَا يَجِبُ عَلَيْنَا نَحْوَهُ ﷺ؛ ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

قَالَ: تَدْرِي مَا الْفِتْنَةُ؟

قَالَ: «**الشِّرْكُ، أَوِ الْكُفْرُ**»(١).

﴿**أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾: بِحَدٍّ فِي الدُّنْيَا، أَوْ بِعَذَابٍ فِي الْآخِرَةِ، كُلُّ ذَلِكَ بَسَبَبِ مُخَالَفَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَقَدْ نَهَانَا رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنْ نَقُولَ: يَا مُحَمَّدُ! يَا أَبَا الْقَاسِمِ! وَإِنَّمَا نَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ! يَا نَبِيَّ اللهِ!

---

(١) أخرج البخاري: (٨/ ٣١٠، رقم ٤٦٥١) و(١٣/ ٤٥، رقم ٧٠٩٥)، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ:

خَرَجَ عَلَيْنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ، فَرَجَوْنَا أَنْ يُحَدِّثَنَا حَدِيثًا حَسَنًا، فَبَادَرَنَا إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، حَدِّثْنَا عَنِ القِتَالِ فِي الفِتْنَةِ، وَاللهُ يَقُولُ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٣]، فَقَالَ: هَلْ تَدْرِي مَا الفِتْنَةُ، ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ؟ «إِنَّمَا كَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ يُقَاتِلُ المُشْرِكِينَ، وَكَانَ الدُّخُولُ فِي دِينِهِمْ فِتْنَةً، وَلَيْسَ كَقِتَالِكُمْ عَلَىٰ المُلْكِ».

وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والربيع وابن زيد والسدي: «الفتنة: الشرك»، وكان أحمد يَتْلُو هذه الآية: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] وَيُكَرِّرُهَا، وَيَقُولُ: «وَمَا الْفِتْنَةُ؟ الشِّرْكُ، لَعَلَّهُ أَنْ يَقَعَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنَ الزَّيْغِ فَيَزِيغَ فَيُهْلِكَهُ،...».

هَذَا مَتَىٰ؟

إِذَا كَانَ فِي حَيَاتِهِ ﷺ، مَنَعَهُمْ مِنْ نِدَائِهِ بِاسْمِهِ ﷺ.

كَمَا نَهَاهُمْ عَنْ رَفْعِ الصَّوْتِ فَوْقَ صَوْتِهِ، وَعَنِ التَّقْدِيمِ بَيْنَ يَدَيْهِ -صَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ-، بَلْ إِنَّهُ أَمَرَهُمْ إِذَا أَرَادُوا مُنَاجَاتَهُ أَنْ يُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاهُمْ صَدَقَةً، ثُمَّ نَسَخَ ذَلِكَ ﷺ.

*** وَقَدْ وَهَبَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ مِنَ الْآيَاتِ الْمُعْجِزَاتِ فَوْقَ مَا آتَىٰ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ**، فَمَا مِنْ مُعْجِزَةٍ لِنَبِيٍّ إِلَّا وَآتَىٰ اللهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا أَعْظَمَ مِنْهَا وَأَبْقَىٰ(١).

وَالْمُعْجِزَةُ الْخَالِدَةُ الْبَاقِيَةُ الْمُتَحَدَّىٰ بِهَا فِي كُلِّ عَصْرٍ وَجِيلٍ وَزَمَانٍ هِيَ الْقُرْآنُ الْمَجِيدُ الَّذِي أَعْجَزَ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ، وَإِعْجَازُهُ قَائِمٌ بَيْنَ النَّاسِ أَبَدًا، يَتَحَدَّىٰ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْخَلْقَ إِنْسًا وَجِنًّا أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ أَقْصَرِ سُورَةٍ فِيهِ، مَعَ مَا آتَاهُ مِنَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ الْمَادِّيَّاتِ الظَّاهِرَاتِ.

إِذَا كَانَ اللهُ جَلَّوَعَلَا قَدْ آتَىٰ سُلَيْمَانَ عليه السلام آيَةَ الرِّيحِ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ؛ فَإِنَّ اللهَ جَلَّوَعَلَا أَسْرَىٰ بِنَبِيِّهِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَىٰ، ثُمَّ عُرِجَ بِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ إِلَىٰ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ، ثُمَّ تَقَدَّمَ ﷺ حَتَّىٰ كَلَّمَ رَبَّهُ وَكَلَّمَهُ، ثُمَّ رَجَعَ وَفِرَاشُهُ مَا زَالَ دَافِئًا بَعْدُ(٢)، فَمَا آيَةُ الرِّيحِ بِجِوَارِ هَذِهِ؟!!

---

(١) «**مناقب الشافعي**»: (١/ ٤٢٦).

(٢) أخرجه البخاري: (١/ ٤٥٩، رقم ٣٤٩)، ومسلم: (١/ ١٤٨، رقم ١٦٣)، من حديث: ابْنِ عَبَّاسٍ، وَأَبِي حَبَّةَ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنهما.

=

إِذَا كَانَ اللهُ جَلَّوَعَلَا قَدْ جَعَلَ لِمُوسَىٰ آيَةً: أَنْ ضَرَبَ الْحَجَرَ بِعَصَاهُ، فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا؛ فَإِنَّ الْحِجَارَةَ وَإِنَّ الْأَرْضَ مَظِنَّةٌ أَنْ تَنْبَجِسَ وَتَنْبُثِقَ مِنْهَا الْمِيَاهُ، وَأَمَّا اللَّحْمُ الْحَيُّ.. فَهَلْ يُخْرِجُ اللَّحْمُ الْحَيُّ مَاءً؟!!

وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ أَنْبَعَ اللهُ الْمَاءَ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللهِ ﷺ(١).

مَا مِنْ مُعْجِزَةٍ أُوتِيَهَا نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِلَّا آتَىٰ اللهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا فَوْقَهَا وَأَعْظَمَ مِنْهَا.

إِذَا كَانَ اللهُ جَلَّوَعَلَا قَدْ أَحْيَا عَلَىٰ يَدَيْ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْضَ الْمَوْتَىٰ؛ فَإِنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- أَحْيَا عَلَىٰ يَدَيْ مُحَمَّدٍ مَا لَا يُحْصَىٰ عَدًّا مِنَ الْبَشَرِ كَانُوا فِي مَوَاتِ الْكُفْرِ؛ ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

=

وحديث الإسراء في الصحيحين أيضا من رواية أنس ومَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ وابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهم، وفي صحيح مسلم من رواية جابر رضي الله عنه.

(١) أخرج البخاري: (١/ ٢٧١، رقم ١٦٩)، ومسلم: (٤/ ١٧٨٣، رقم ٢٢٧٩)، من حديث: أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ:

رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَحَانَتْ صَلَاةُ الْعَصْرِ فَالْتَمَسَ النَّاسُ الْوَضُوءَ فَلَمْ يَجِدُوهُ فَأُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِوَضُوءٍ فَوَضَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي ذَلِكَ الْإِنَاءِ يَدَهُ، وَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَتَوَضَّئُوا مِنْهُ، قَالَ: «**فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبُعُ مِنْ تَحْتِ أَصَابِعِهِ، فَتَوَضَّأَ النَّاسُ حَتَّىٰ تَوَضَّئُوا مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ**».

وروي حديث: «نَبْع الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ ﷺ» أيضا عَنِ ابن مسعود وابْنِ عَبَّاسٍ والْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ وأبو ليلىٰ الأنصاري رضي الله عنهم.

كَانَ مَيْتًا فِي ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ؛ فَأَحْيَاهُ اللهُ بِنُورِ الْإِيمَانِ، فَكَمْ مِنْ مَيْتٍ أَحْيَاهُ اللهُ عَلَىٰ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ! لَا يُحْصِي عَدَدَهُمْ إِلَّا اللهُ، فَأَيْنَ تِلْكَ مِنْ هَذِهِ؟!!

لَا نَعْرِفُ قَدْرَهُ؛ لِأَنَّنَا لَمْ نُحْكِمْ شَرْعَهُ، وَفَصَلْنَا بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ؛ فَصَارَ عِلْمُنَا بِهِ مَتَاعًا وَتَرَفًا وَتَزْجِيَةً لِلْأَوْقَاتِ فِي الْفَرَاغَاتِ!! وَأَمَّا أَنْ يَتَحَوَّلَ ذَلِكَ إِلَىٰ عَمَلٍ وَحَيَاةٍ فَنَحْنُ أَبْعَدُ مَا نَكُونُ عَنْ ذَلِكَ، نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَهْدِيَنَا أَجْمَعِينَ.

النَّبِيُّ ﷺ آتَاهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي مُعْجِزَةِ رَدِّ الْبَصَرِ أَعْظَمَ مِمَّا أُوتِيَ عِيسَىٰ عليه السلام؛ فَإِنَّ عِيسَىٰ أَبْرَأَ اللهُ الْأَكْمَهَ عَلَىٰ يَدَيْهِ، وَأَمَّا النَّبِيُّ ﷺ فَإِنَّ عَيْنَ قَتَادَةَ لَمَّا أَصَابَهَا السَّهْمُ فَأَخْرَجَهَا السَّهْمُ مِنْ مَحْجِرِهَا؛ رَدَّهَا النَّبِيُّ ﷺ.

قَالَ قَتَادَةُ: «فَعَادَتْ أَصَحَّ عَيْنَيَّ»(١).

وَتَفَلَ فِي عَيْنَيْ عَلِيٍّ رضي الله عنه فَبَرِئَ مِمَّا كَانَ بِهِ مِنَ الرَّمَدِ.. صَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَىٰ نَبِيِّهِ، وَصَفِيِّهِ، وَنَجِيِّهِ، وَخَلِيلِهِ وَكَلِيمِهِ، نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ(٢).

---

(١) أخرجه ابن سعد في «**الطبقات**»: (١/ ١٨٧)، وأبو يعلىٰ في «**المسند**»: (٣/ ١٢٠، رقم ١٥٤٩)، وأبو عوانة في «**مستخرجه**»: (١٥/ ١٥، رقم ٧٣٦٨)، والبغوي في «**معجم الصحابة**»: (٥/ ٤٧)، وأبو نعيم في «**الحلية**»: (٦/ ٣٣٧)، والبيهقي في «**الدلائل**»: (٣/ ٢٥١).

(٢) أخرجه البخاري: (٦/ ١١١، رقم ٢٩٤٢)، ومسلم: (٤/ ١٨٧٢، رقم ٢٤٠٦)، من حديث: سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه، قال:
أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «**لَأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ اللهُ عَلَىٰ يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ**»، فَقَامُوا يَرْجُونَ لِذَلِكَ أَيُّهُمْ يُعْطَىٰ، فَغَدَوْا وَكُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَىٰ، فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيٌّ؟»، فَقِيلَ: يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، فَأَمَرَ، فَدُعِيَ لَهُ، فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ، فَبَرَأَ مَكَانَهُ حَتَّىٰ كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِهِ شَيْءٌ،... الحديث.

*** إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وَيَتَحَقَّقُ ذَلِكَ عَلَىٰ وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛** لِأَنَّ الدُّنْيَا فِيهَا ادِّعَاءٌ كَثِيرٌ، وَمَا أَكْثَرَ الَّذِينَ يَرَىٰ الْوَاحِدُ فِيهِمْ دَعْوَاهُ -إِمَّا قَوْلًا، وَإِمَّا فِعْلًا، وَإِمَّا قَوْلًا وَفِعْلًا- أَنَّهُ مِنْ طِينَةٍ سِوَىٰ طِينَةِ الْبَشَرِ، بَلْ رُبَّمَا وُجِدَتْ مَنْ حَالُهُ وَمَقَالُهُ يَدُلَّانِكَ عَلَىٰ أَنَّهُ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ طِينَةٍ أَصْلًا!! وَلَا يَصِيرُ إِلَىٰ تُرَابٍ، فَالدُّنْيَا مَحَلُّ ادِّعَاءٍ عَرِيضٍ، فَخَلُصَتْ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

«أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ»، فَمَنْ يُنَازِعُ؟!! ﷺ، **«وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ القَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ»**(١)، **«وَأَوَّلُ آخِذٍ بِحَلَقِ الْجَنَّةِ حَتَّىٰ يَكُونَ أَوَّلَ دَاخِلٍ لَهَا»**(٢).

لَا يُسْمَحُ لِأَحَدٍ أَنْ يَدْخَلَ الْجَنَّةَ قَبْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَمَا يَذْهَبُ النَّاسَ فِي الْمَوْقِفِ، وَالْعَرَقُ يَذْهَبُ فِي الْأَرْضِ عَلَىٰ قَدْرِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْحَالِ وَالْفَعَالِ؛ **«فَمِنْهُمْ مَنْ عَرَقُهُ** -بَعْدَ أَنْ يَذْهَبَ الْعَرَقُ فِي الْأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا، مِنْهُمْ مَنْ عَرَقُهُ- **إِلَىٰ كَعْبَيْهِ** -وَالْكَعْبُ: الْعَظْمُ النَّاتِئُ؛ أَيِ: الْبَارِزُ فِي جَانِبِ الرِّجْلِ-، **وَمِنْهُمْ مَنْ عَرَقُهُ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ عَرَقُهُ إِلَىٰ حِقْوَيْهِ** -أَيْ: إِلَىٰ وَسَطِهِ-، **وَمِنْهُمْ مَنْ عَرَقُهُ إِلَىٰ كَتِفَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ عَرَقُهُ إِلَىٰ أُذُنَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا»**.

---

(١) أخرجه مسلم: (٤/ ١٧٨٢، رقم ٢٢٧٨)، من حديث: أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي: (٥/ ٥٨٧-٥٨٨، رقم ٣٦١٦)، من حديث: ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما.
والحديث حسنه الألباني في «**الصحيحة**»: (٤/ ٩٧-٩٩، رقم ١٥٧٠).

النَّاسُ فِي هَذَا الْكَرْبِ الْكَارِبِ، وَقَدْ دَنَتِ الشَّمْسُ مِنَ الرُّءُوسِ، يَذْهَبُونَ إِلَىٰ آدَمَ، فَيُحِيلُهُمْ إِلَىٰ نُوحٍ، فَيُحِيلُهُمْ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ، فَيُحِيلُهُمْ إِلَىٰ مُوسَىٰ، فَيُحِيلُهُمْ إِلَىٰ عِيسَىٰ، فَيُحِيلُهُمْ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ: «**أَنَا لَهَا، أَنَا لَهَا**».

يَسْجُدُ عِنْدَ الْعَرْشِ، وَيُلْهَمُ مَحَامِدَ لَا يَعْلَمُهَا فِي حَالِ حَيَاتِهِ؛ يَقُولُ: «**لَا أَعْلَمُهَا الْآنَ**»، حَتَّىٰ يَقُولَ لَهُ رَبُّهُ: «يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ»(١).

فَيَشْفَعُ لِأَهْلِ الْمَوْقِفِ شَفَاعَةً عَامَّةً لِلْمُسْلِمِ وَالْكَافِرِ، وَالْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ، يَشْفَعُ شَفَاعَةً عَامَّةً فِي أَنْ يَبْدَأَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي فَصْلِ الْقَضِيَّةِ بَيْنَ الْبَشَرِ.

لَهُ وَحْدَهُ.. هَذِهِ الشَّفَاعَةُ: الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ، وَالشَّفَاعَةُ الْعُظْمَىٰ لَيْسَتْ إِلَّا لِوَاحِدٍ هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَلِوَاءُ الْحَمْدِ بِيَدِهِ، آدَمُ فَمَنْ دُونَهُ تَحْتَ لِوَائِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﷺ.

أَوَّلُ مَنْ يَجُوزُ عَلَىٰ الصِّرَاطِ بِأُمَّتِهِ: رَسُولُ اللهِ ﷺ.(*).

(١) جزء من حديث الشفاعة وقد تقدم تخريجه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةِ: «نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ» - ٥ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣٣ هـ | ٢١-٠٩-٢٠١٢ م.

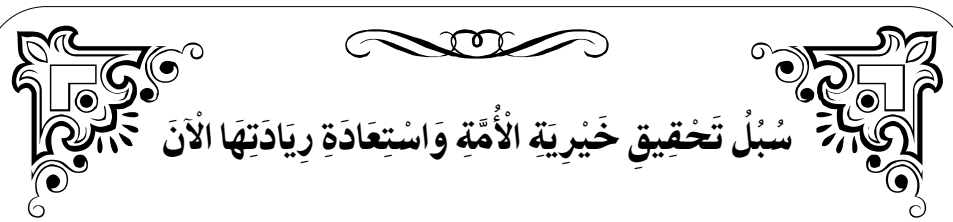

سُبُلُ تَحْقِيقِ خَيْرِيَةِ الْأُمَّةِ وَاسْتِعَادَةِ رِيَادَتِهَا الْآنَ

عِبَادَ اللهِ! إِذَا مَا تَأَمَّلْنَا فِيمَا جَاءَنَا بِهِ نَبِيُّنَا ﷺ بَعْدَ النَّظَرِ فِي هَذَا الْوَاقِعِ الَّذِي نَعِيشُهُ، وَفِي هَذَا الْمُنْحَنَىٰ الْخَطِيرِ الَّذِي نَمُرُّ بِهِ.. تَمُرُّ بِهِ أُمَّتُنَا كُلُّهَا بِجَمِيعِ أَقْطَارِهَا، إِذَا مَا نَظَرْنَا وَتَأَمَّلْنَا فَأَحْدَثَ لَنَا التَّأَمُّلُ فِكْرًا، فَأَحْدَثَ لَنَا الْفِكْرُ ذِكْرًا، فَأَنْتَجَ لَنَا الذِّكْرُ عِبْرَةً وَعَمَلًا، إِذَا مَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَقَدْ أَفْلَحْنَا وَأَنْجَحْنَا.

وَإِذَا مَا انْصَرَفْنَا عَنْ كِتَابِ رَبِّنَا وَسُنَّةِ نَبِيِّنَا ﷺ فَهُوَ الْبَوَارُ لَا مَحَالَةَ.

*** لَقَدْ جَعَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِخَيْرِيَّةِ الْأُمَّةِ مُقَوِّمَاتٍ وَسُبُلًا إِذَا أَخَذَتْ بِهَا الْأُمَّةُ وَقَامَتْ بِوَاجِبِهَا تَحَقَّقَتْ هَذِهِ الْخَيْرِيَّةُ؛ وَمِنْ هَذِهِ الْمُقَوِّمَاتِ وَالسُّبُلِ: الرُّجُوعُ إِلَى حَقِيقَةِ الدِّينِ.**

إِذَا مَا أَرَادَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْوَاقِعِ الْأَلِيمِ فَعَلَيْهِ بَدْءًا أَنْ يَنْظُرَ فِي مُشَخِّصَاتِ ذَلِكَ الْوَاقِعِ، وَأَنْ يَبْحَثَ عَنِ الْأَسْبَابِ الَّتِي دَعَتْ إِلَيْهِ وَالدَّوَافِعِ الَّتِي دَفَعَتْ مُؤَدِّيَةً إِلَيْهِ.

فَإِذَا مَا وَضَعَ الْيَدَ عَلَىٰ التَّشْخِيصِ الصَّحِيحِ؛ فَإِنَّ الْعِلَاجَ -بَعْدُ- مَيْسُورٌ -بِمَعُونَةِ الرَّبِّ الْغَفُورِ-، وَلِذَلِكَ لَمْ يُحِوِجْنَا نَبِيُّنَا ﷺ إِلَىٰ إِعْمَالِ الْعَقْلِ؛ لَا فِي تَشْخِيصٍ وَلَا فِي عِلَاجٍ، فَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ.

وَقَدْ أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ»(١)، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ؛ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّىٰ تَرْجِعُوا إِلَىٰ دِينِكُمْ**». وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ بِمَجْمُوعِ طُرُقِهِ.

وَفِيهِ بَيَانُ الدَّاءِ وَالدَّوَاءِ، وَفِيهِ التَّشْخِيصُ وَالْعِلَاجُ مِنْ خَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ.

«**إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ**»؛ فَالْتَجَأْتُمْ إِلَىٰ الْحِيَلِ الْمُعِينَةِ عَلَىٰ الْفَسَادِ وَالشَّرِّ وَالْبَاطِلِ، فَخَرِبَتْ مِنْكُمُ الذِّمَمُ، وَأَصْبَحْتُمْ تَتَحَايَلُونَ عَلَىٰ الْوُقُوعِ فِي الْحَرَامِ تَزْعُمُونَهُ حَلَالًا.

«**إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ**»؛ فَأَخَذْتُمْ شَيْئًا نَسِيئَةً، ثُمَّ رَدَدْتُمُوهُ عَلَىٰ بَائِعِهِ نَقْدًا بِثَمَنٍ أَقَلَّ، وَقَبَضْتُمُ النَّقْدَ الْأَقَلَّ، وَبَقِيَ فِي ذِمَّتِكُمُ الْأَعْلَىٰ، وَالْفَارِقُ رِبًا بِلَا خِلَافٍ.

«**إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ**»؛ فَتَدَنَّتْ مِنْكُمُ الْهِمَمُ، وَأَدَّىٰ هَذَا وَهَذَا مِنَ الْمِثَالَيْنِ الْمَضْرُوبَيْنِ مِنَ التَّبَايُعِ بِالْعِينَةِ، وَمِنَ الْأَخْذِ بِأَذْنَابِ الْبَقَرِ، مَعَ الرِّضَا بِالزَّرْعِ، وَالْخُلُودِ إِلَىٰ الْأَرْضِ، هَذَانِ مِثَالَانِ -كَمَا تَرَىٰ- يُؤَدِّيَانِ إِلَىٰ نَتِيجَةٍ وَاحِدَةٍ جَعَلَهَا النَّبِيُّ ﷺ نَتِيجَةً حَتْمِيَةً: «**وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ**».

فَهَذِهِ جُمْلَةُ أَسْبَابٍ ذَكَرَهَا نَبِيُّنَا ﷺ يَتَرَتَّبُ بَعْضُهَا عَلَىٰ بَعْضٍ وَتُؤَدِّي فِي النِّهَايَةِ إِلَىٰ مُؤَدًّىٰ وَاحِدٍ، إِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ.. سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا.

---

(١) «**سنن أبي داود**»: (٣/ ٢٧٤، رقم ٣٤٦٢)، من حديث: ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.
والحديث صححه بمجموع طرقه الألباني في «**الصحيحة**»: (١/ ٤٢، رقم ١١).

وَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ الذُّلَّ الْمُسَلَّطَ مُنكَّرًا لِيَدُلَّ عَلَىٰ تَفْخِيمِهِ وَتَهْوِيلِهِ وَعَظِيمِ وَقْعِهِ، ثُمَّ جَعَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ذَلِكَ مُسَلَّطًا مِنْ قِبَلِهِ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**سَلَّطَ اللهُ**»؛ فَجَعَلَهُ مُسَلَّطًا أَنَّىٰ ذَهَبْتُمْ، فَهُوَ تَابِعُكُمْ كَمَا تَكُونُ الرُّوحُ فِي الْجَسَدِ، لَا تَخْلُصُونَ مِنْهُ وَلَا يَخْلُصُ مِنْكُمْ، «**سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّىٰ تَرْجِعُوا إِلَىٰ دِينِكُمْ**».

وَتَأَمَّلْ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**لَا يَنْزِعُهُ**»، وَالنَّزْعُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِمُكَابَدَةٍ وَمُعَانَاةٍ وَبَذْلِ جَهْدٍ، هَذَا فِي حَالَةِ النَّاسِ، وَأَمَّا عِنْدَ رَبِّكَ فَلَا شَيْءَ؛ لِأَنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ لَا يَكُونُ الْوَصْفُ مَعَهُ كَمَا يَكُونُ الْوَصْفُ مَعَ الْمَخْلُوقِ.

وَلَكِنْ فِي تَغَلْغُلِ هَذَا الذُّلِّ فِيكُمْ، وَفِي انْتِشَارِهِ فِي أَطْوَائِكُمْ، وَبَقَائِهِ فِي مَنَاحِيكُمْ، لَا يَخْرُجُ مِنْكُمْ إِلَّا انْتِزَاعًا بِعُنْفٍ وَقُوَّةٍ وَشِدَّةٍ لِتَمَكُّنِهِ مِنْكُمْ.

«**لَا يَنْزِعُهُ حَتَّىٰ تَرْجِعُوا إِلَىٰ دِينِكُمْ**».

فَشَخَّصَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَرَضَ، وَشَخَّصَ الدَّاءَ، وَأَتَىٰ بِوَصْفَةِ الْعِلَاجِ وَوَصَفَ الدَّوَاءَ ﷺ.

وَكُلُّ الْمَذْكُورِ قَدْ تَحَقَّقَ مِنْ تِلْكَ الْأُمُورِ فِي وَاقِعِ النَّاسِ، ثُمَّ إِنَّ النَّتِيجَةَ قَدْ وَقَعَتْ بِالْفِعْلِ لَا يُمَارِي فِيهَا أَحَدٌ، فَالذُّلُّ قَائِمٌ لَا يُنْكِرُهُ أَحَدٌ، حَتَّىٰ الْمُكَابِرُونَ لَا يُنْكِرُونَ أَنَّ الذُّلَّ قَدْ وَقَعَ عَلَىٰ الْأُمَّةِ كَمَا أَخْبَرَ الرَّسُولُ ﷺ.

وَبَقِيَ التَّفْتِيشُ فِي الْعِلَاجِ، وَبَقِيَ الْأَخْذُ بِوَصْفَةِ الدَّوَاءِ؛ مِنْ أَجْلِ نَزْعِ الذُّلِّ عَنِ الْأُمَّةِ كَمَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ: «**حَتَّىٰ تَرْجِعُوا إِلَىٰ دِينِكُمْ**».

فَبَيَّنَ الرَّسُولُ ﷺ أَنَّهُ لَا رَفْعَ لِلذُّلِّ إِلَّا بِالرُّجُوعِ إِلَىٰ الدِّينِ، فَالْوَصْفَةُ الرُّجُوعُ إِلَىٰ الدِّينِ.

وَالرُّجُوعُ إِلَىٰ الدِّينِ أَمْرٌ لَا يَخْتَلِفُ عَلَيْهِ أَحَدٌ أَيْضًا، وَلَكِنْ لَا بُدَّ مِنَ النَّظَرِ فِي الدِّينِ الْمَرْجُوعِ إِلَيْهِ، وَفِي كَيْفِيَّةِ الرُّجُوعِ إِلَيْهِ، وَهُنَا تَتَبَايَنُ الْأَفْهَامُ، وَتَخْتَلِفُ الْأَقْدَامُ عَلَىٰ الصِّرَاطِ؛ فَبَيْنَ سَائِرٍ قَاصِدٍ إِلَىٰ غَايَةٍ وَاضِحَةٍ، وَبَيْنَ سَائِرٍ عَلَىٰ عِوَجٍ تَضْطَرِبُ بِهِ الْأَقْدَامُ.

لَا بُدَّ مِنْ بَيَانِ الدِّينِ الْمَرْجُوعِ إِلَيْهِ، وَلَا بُدَّ مِنْ بَيَانِ كَيْفِيَّةِ الرُّجُوعِ إِلَيْهِ.

النَّبِيُّ ﷺ لَمْ يَدَعْ أَبَدًا أَمْرًا مِنَ الْأُمُورِ فِي بَيَانِ الدِّينِ الْمَرْجُوعِ إِلَيْهِ إِلَّا وَفَصَّلَهُ وَلَمْ يُجْمِلْهُ، وَلَمْ يَدَعْ طَرِيقَةً تُؤَدِّي إِلَيْهِ يَرْتَضِيهَا الشَّرْعُ إِلَّا وَفَصَّلَهَا وَلَمْ يُجْمِلْهَا.

بَيَانُ الدِّينِ الْمَرْجُوعِ إِلَيْهِ، وَبَيَانُ كَيْفِيَّةِ الرُّجُوعِ إِلَيْهِ، تَصْفِيَةُ الدِّينِ مِمَّا عَلِقَ بِهِ مِنْ شَوَائِبِهِ، وَأَيْضًا تَرْبِيَةٌ عَلَىٰ هَذَا الدِّينِ الْمُصَفَّىٰ كَمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ.

الدِّينُ مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، الدِّينُ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْوَحْيَيْنِ الْمَعْصُومَيْنِ، مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ مِنَ النُّورَيْنِ اللَّذَيْنِ أَتَىٰ بِهِمَا نَبِيُّنَا ﷺ، لَا يَلْحَقُهُمَا زَيْغٌ وَلَا ضَلَالٌ وَلَا تَحْرِيفٌ وَلَا تَصْحِيفٌ، وَلَا نُقْصَانٌ وَلَا زِيَادَةٌ، وَلَا يَأْتِيهِمَا الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنَ أَيْدِيهِمَا وَلَا مِنْ خَلْفِهِمَا؛ إِذْ تَكَفَّلَ رَبُّكَ -وَرَبُّكَ ذُو الْقُوَىٰ وَالْقُدَرِ- بِحِفْظِ الذِّكْرِ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩](*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةِ: «حَتَّىٰ تَرْجِعُوا إِلَىٰ دِينِكُمْ» - الْجُمُعَةُ ١٦ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٢٧هـ| ١٤-٤-٢٠٠٦م.

*** مِنْ سُبُلِ تَحْقِيقِ خَيْرِيَّةِ الْأُمَّةِ: تَحْقِيقُ التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ؛** فَالَّذِي يَتَأَمَّلُ فِي كِتَابِ رَبِّهِ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ يَجِدُ أَنَّ سَبَبَ التَّمْكِينِ فِي الْأَرْضِ إِنَّمَا هُوَ تَحْقِيقُ التَّوْحِيدِ وَإِخْلَاصُ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ جَلَّوَعَلَا مِنْ شَوْبِ الشِّرْكِ وَالِابْتِدَاعِ وَالْمُحْدَثَاتِ مِنَ الْأُمُورِ.

وَإِنَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ بِتَوْحِيدِ الْمُتَابَعَةِ لِلْمَعْصُومِ، فَلَا بُدَّ مِنْ تَوْحِيدِ الْقَصْدِ وَالْإِرَادَةِ، وَلَا بُدَّ مِنْ تَوْحِيدِ الْمُتَابَعَةِ، وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهَذَا فَلَا تَمْكِينَ فِي الْأَرْضِ.

مَتَىٰ مَا حَقَّقَتِ الْأُمَّةُ رُكْنَيِ الْعَمَلِ الْمُتَقَبَّلِ، وَأَتَتْ بِأَصْلَيْهِ.. مَكَّنَ اللهُ جَلَّوَعَلَا لَهَا؛ ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ(١): «هَذَا مِنْ وُعُودِهِ الصَّادِقَةِ، الَّتِي شُوهِدَ تَأْوِيلُهَا وَعُرِفَ مَخْبَرُهَا، فَإِنَّهُ وَعَدَ مَنْ قَامَ بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، أَنْ يَسْتَخْلِفَهُمْ فِي الْأَرْضِ، يَكُونُونَ هُمُ الْخُلَفَاءَ فِي الْأَرْضِ، وَيَكُونُونَ الْمُتَصَرِّفِينَ فِي تَدْبِيرِهَا.

وَأَنَّهُ يُمَكِّنُ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ، وَهُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ، الَّذِي فَاقَ الْأَدْيَانَ كُلَّهَا، ارْتَضَاهُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ؛ لِفَضْلِهَا وَشَرَفِهَا وَنِعْمَتِهِ عَلَيْهَا، بِأَنْ يَتَمَكَّنُوا مِنْ

(١) «تفسيره» (ص ٥٧٣، مؤسسة الرسالة).

إِقَامَتِهِ، وَإِقَامَةِ شَرَائِعِهِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ فِي أَنْفُسِهِمْ وَفِي غَيْرِهِمْ، لِكَوْنِ غَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْأَدْيَانِ وَسَائِرِ الْكُفَّارِ مَغْلُوبِينَ ذَلِيلِينَ، وَأَنَّهُ يُبَدِّلُهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمُ الَّذِي كَانَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ لَا يَتَمَكَّنُ مِنْ إِظْهَارِ دِينِهِ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ إِلَّا بِأَذًى كَثِيرٍ مِنَ الْكُفَّارِ، وَكَوْنِ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ قَلِيلِينَ جِدًّا بِالنِّسْبَةِ إِلَى غَيْرِهِمْ، وَقَدْ رَمَاهُمْ أَهْلُ الْأَرْضِ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ، وَبَغَوْا لَهُمُ الْغَوَائِلَ، فَوَعَدَهُمُ اللهُ هَذِهِ الْأُمُورَ وَقْتَ نُزُولِ الْآيَةِ، وَهِيَ لَمْ تُشَاهِدْ الِاسْتِخْلَافَ فِي الْأَرْضِ، وَالتَّمْكِينَ فِيهَا، وَالتَّمْكِينَ مِنْ إِقَامَةِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ، وَالْأَمْنَ التَّامَّ، بِحَيْثُ يَعْبُدُونَ اللهَ وَلَا يُشْرِكُونَ بِهِ شَيْئًا، وَلَا يَخَافُونَ إِلَّا اللهَ.

فَقَامَ صَدْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ -مِنَ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ- بِمَا يَفُوقُونَ عَلَى غَيْرِهِمْ، فَمَكَّنَهُمْ مِنَ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ، وَفُتِحَتْ مَشَارِقُ الْأَرْضِ وَمَغَارِبُهَا، وَحَصَلَ الْأَمْنُ التَّامُّ وَالتَّمْكِينُ التَّامُّ».

فَمَنِ الَّذِي يُنْصَرُ؟!!

صَاحِبُ الْإِيمَانِ، صَاحِبُ الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ، وَصَاحِبُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ.

دَعْوَةٌ لِلتَّوْحِيدِ وَإِخْلَاصِ الْعُبُودِيَّةِ لِلَّهِ مَعَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، يُمَكِّنُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي الْأَرْضِ.(*).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ» - الْجُمُعَةُ ٢ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٣هـ الْمُوَافِقُ ٢٢-٦-٢٠١٢م.

وَلِلهِ الْعِزَّةُ بِقَهْرِهِ وَقُوَّتِهِ وَغَلَبَتِهِ، وَلِرَسُولِهِ ﷺ بِإِظْهَارِ دِينِهِ عَلَىٰ الْأَدْيَانِ كُلِّهَا، وَلِلْمُؤْمِنِينَ بِإِمْدَادِ اللهِ لَهُمْ بِالْقُوَّةِ الْغَالِبَةِ وَنَصْرِهِمْ عَلَىٰ أَعْدَائِهِمْ.(*).

عِبَادَ اللهِ! «إِنَّ الْإِيمَانَ الصَّحِيحَ يَمْنَعُ الْعَبْدَ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْمُوبِقَاتِ الْمُهْلِكَةِ؛ كَمَا ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحِ»(٢) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ**». الْحَدِيثَ.

وَمَنْ وَقَعَتْ مِنْهُ، فَإِنَّهُ لِضَعْفِ إِيمَانِهِ، وَذَهَابِ نُورِهِ، وَزَوَالِ الْحَيَاءِ مِمَّنْ يَرَاهُ حَيْثُ نَهَاهُ، وَهَذَا مَعْرُوفٌ مُشَاهَدٌ.

وَالْإِيمَانُ الصَّادِقُ الصَّحِيحُ يَصْحَبُهُ الْحَيَاءُ مِنَ اللهِ، وَالْحُبُّ لَهُ، وَالرَّجَاءُ الْقَوِيُّ لِثَوَابِهِ، وَالْخَوْفُ مِنْ عِقَابِهِ، وَالنُّورُ الَّذِي يُنَافِي الظُّلْمَةَ، وَهَذِهِ الْأُمُورُ الَّتِي هِيَ مِنْ مُكَمِّلَاتِ الْإِيمَانِ لَا رَيْبَ أَنَّهَا تَأْمُرُ صَاحِبَهَا بِكُلِّ خَيْرٍ، وَتَزْجُرُهُ عَنْ كُلِّ قَبِيحٍ»(٣). (*/٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [المنافقون: ٨].

(٢) «صحيح البخاري» (٦٧٨٢، و٦٨٠٩)، من حديث: ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وزاد في رواية: «...، **وَلَا يَقْتُلُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»، والحديث في «الصحيحين» من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري (٢٤٧٥) ومواضع، ومسلم (٥٧) بمثله، وفي رواية لهما زيادة: «...، **وَالتَّوْبَةُ مَعْرُوضَةٌ بَعْدُ**».

(٣) «التَّوْضِيحُ وَالْبَيَانُ لِشَجَرَةِ الْإِيمَانِ» (٦/ ١٤٦ - ١٥٧ مجموع مؤلفات السعدي-١٨).

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِاخْتِصَارٍ مِنْ سِلْسِلَةِ: «شَرْحُ التَّوْضِيحِ وَالْبَيَانِ لِشَجَرَةِ الْإِيمَانِ لِلْعَلَّامَةِ السَّعْدِيِّ رَحِمَهُ اللهُ» -الْمُحَاضَرَةُ الثَّامِنَةُ: الثُّلَاثَاءُ ٨ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٥هـ | ١٢- ١١-٢٠١٣م.

إِنَّ الْمَصْلَحَةَ الْعُلْيَا لِلْأُمَّةِ إِنَّمَا تَتَحَقَّقُ بِمَا يَتَحَقَّقُ بِهِ نَفْيُ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَنَفْيُ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ بِتَحْقِيقِ التَّوْحِيدِ؛ ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

فَلَا يَتَحَقَّقُ الصَّلَاحُ فِي الْأَرْضِ، وَلَا يَنْتَفِي الْفَسَادُ مِنْهَا.. إِلَّا بِتَحْقِيقِ التَّوْحِيدِ فِيهَا، الَّذِي لِأَجْلِهِ خَلَقَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْخَلْقَ، فَأَوَّلُ مَا يَنْبَغِي أَنْ يُرَاعَىٰ مِنَ الْمَصَالِحِ الْعُلْيَا هُوَ: تَحْقِيقُ دِينِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ فَبِهِ تَتَحَقَّقُ الْمَصْلَحَةُ، وَبِهِ تَنْتَفِي الْمَفْسَدَةُ.(*).

*** مِنْ سُبُلِ تَحْقِيقِ خَيْرِيَّةِ الْأُمَّةِ: التَّمَسُّكُ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ الْأَصْحَابُ** رضي الله عنهم، **يَقُولُ رَبُّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ:** ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٧-١٣٨].

حَدَّدَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ السَّبِيلَ؛ فَقَالَ اللهُ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- مُوَضِّحًا الْمِيزَانَ بِكِفَّتَيْهِ وَسِنَجِهِ، وَبَيَّنَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لِسَانَ الْمِيزَانِ أَيْنَ يَكُونُ عَلَىٰ نَحْوٍ مِنَ الْعَدْلِ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي لَا تَشُوبُهُ شَائِبَةٌ مِنْ جَوْرٍ وَلَا يَلْحَقُهُ شَيْءٌ مِنْ ظُلْمٍ: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾؛ وَالْخِطَابُ مُتَوَجِّهٌ بَدْءًا إِلَىٰ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ فَهَذَا هُوَ الْمِيزَانُ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ عِيدِ الْفِطْرِ: ١٤٣٨هـ (فِئْرَانُ السُّدُودِ) - الْأَحَد ١ مِنْ شَوَّالٍ ١٤٣٨هـ| ٢٥-٦-٢٠١٧م.

مَنْ أَرَادَ أَنْ يُؤْمِنَ فَعَلَيْهِ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ الْأَصْحَابُ؛ فَهُوَ مَنْهَجُهُمْ.

وَهَذِهِ الْآيَةُ الْعَظِيمَةُ الْجَلِيلَةُ الْمُحْكَمَةُ فِي كِتَابِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا هِيَ مِنْ أَقْوَىٰ.. بَلْ أَقْوَىٰ مَا يَكُونُ مِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَىٰ وُجُوبِ الْتِزَامِ مَنْهَجِ الْأَصْحَابِ فِي الِاعْتِقَادِ وَالْقَوْلِ وَالسُّلُوكِ وَالْعَمَلِ؛ ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ﴾.

فَإِنْ لَمْ يَسِيرُوا عَلَىٰ نَهْجِ الْأَصْحَابِ فَهُمْ فِي شِقَاقٍ، فِي خِلَافٍ وَعِرَاكٍ، وَهُمْ فِي حُرُوبٍ طَاحِنَاتٍ لَا مَحَالَةَ كَمَا قَضَىٰ بِذَلِكَ رَبُّنَا الَّذِي هُوَ عَلَىٰ كُلِ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

ثُمَّ يُبَيِّنُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَوْلَهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِدَلِيلٍ عَمَلِيٍّ: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ، وَهُوَ الَّذِي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ صَاحِبُ الْقُوَىٰ وَالْقُدَرِ سَيَكْفِيكَهُمْ: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾.(*).

* **مِنْ سُبُلِ تَحْقِيقِ خَيْرِيَّةِ الْأُمَّةِ: الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ**؛ فَقَدْ ذَكَرَ اللهُ ﷻ أَنَّ مَنَاطَ الْخَيْرِيَّةِ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ مَوْصُولُ الْعُرَىٰ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، مِنْ مُنْطَلَقِ الْإِيمَانِ بِاللهِ تَعَالَىٰ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةٍ: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا» - الْجُمُعَةُ ١٢ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٢٦هـ| ١٦-٩-٢٠٠٥م.

﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَٰسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَمَنِ اتَّصَفَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ دَخَلَ مَعَهُمْ فِي هَذَا الْمَدْحِ، وَمَنْ لَمْ يَتَّصِفْ بِذَلِكَ أَشْبَهَ أَهْلَ الْكِتَابِ الَّذِينَ ذَمَّهُمُ اللهُ بِقَوْلِهِ: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٩]».

وَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الْأَمْرَ وَالنَّهْيَ لَيْسَ مِمَّا يَعُودُ نَفْعُهُ عَلَىٰ فَاعِلِهِ وَحْدَهُ، بَلْ هُوَ سَفِينَةُ النَّجَاةِ لِلْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ كُلِّهِ.

وَعَلَيْكَ أَنْ يَكُونَ أَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ غَيْرَ مُنْكَرٍ.(*).

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «إِعْلَامِ الْمُوَقِّعِينَ»(٢): «شَرَعَ النَّبِيُّ ﷺ لِأُمَّتِهِ إِيجَابَ إِنْكَارِ الْمُنْكَرِ؛ لِيَحْصُلَ بِإِنْكَارِهِ مِنَ الْمَعْرُوفِ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، فَإِذَا كَانَ إِنْكَارُ الْمُنْكَرِ يَسْتَلْزِمُ مَا هُوَ أَنْكَرُ مِنْهُ وَأَبْغَضُ إِلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَسُوغُ إِنْكَارُهُ -وَإِنْ كَانَ اللهُ يُبْغِضُهُ وَيَمْقُتُ أَهْلَهُ-».(*/٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنَ: «التَّعْلِيقُ عَلَىٰ كِتَابِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ» (ص: ٧-٨).

(٢) «إعلام الموقعين عن رب العالمين» (٣/ ١٢).

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةٍ: «عَقِيدَةُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ فِي حُقُوقِ الْحُكَّامِ» - الْجُمُعَةُ ٨ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٥هـ| ٦- ٦- ٢٠١٤م.

إِنَّ الدَّعْوَةَ إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَشْرَفُ وَأَكْرَمُ مَقَامَاتِ التَّعَبُّدِ لِلَّهِ.

هِيَ أَكْرَمُ مَقَامٍ يَقُومُهُ عَبْدٌ لِرَبِّهِ أَنْ يَكُونَ دَاعِيًا إِلَيْهِ، دَالًّا عَلَيْهِ، مُرْشِدًا إِلَىٰ صِرَاطِهِ، مُتَّبِعًا لِسَبِيلِ نَبِيِّهِ، مُقِيمًا عَلَىٰ ذَلِكَ، مُخْلِصًا فِيهِ، آتِيًا بِهِ عَلَىٰ النَّحْوِ الَّذِي يُرْضِيهِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

هَذَا اسْتِفْهَامٌ الْغَرَضُ مِنْهُ النَّفْيُ؛ **﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾**؛ أَيْ: لَا أَحَدَ.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾؛ مِمَّنْ دَعَا إِلَىٰ اللهِ، لَا إِلَىٰ نَفْسِهِ، وَلَا إِلَىٰ مَنْهَجِهِ، وَلَا إِلَىٰ طَرِيقَتِهِ، وَلَكِنْ: **﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾**.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾؛ فَالْتَزَمَ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ، وَعَمِلَ بِهِ.

﴿وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾؛ فَأَسْلَمَ الزِّمَامَ لِلهِ وَحْدَهُ بِالشَّرْعِ الْأَغَرِّ، بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، لَا يَبْتَدِعُ، وَلَا يَتَزَيَّدُ، وَلَا يَجِدُ حَظَّ نَفْسِهِ، بَلْ يَجْعَلُ ذَلِكَ تَحْتَ مَوَاطِئِ أَقْدَامِهِ، يَدْعُو إِلَىٰ اللهِ مُخْلِصًا، إِلَىٰ اللهِ خَالِصًا، لِلهِ وَحْدَهُ، فَلَا أَحَدَ هُوَ أَحْسَنُ مِنْهُ قَوْلًا، وَلَا أَكْرَمُ عَلَىٰ اللهِ مِنْهُ فِعْلًا، وَلَا أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ مِنْهُ دَعْوَةً.

وَكُلُّ مُكَلَّفٍ وَجَبَ عَلَيْهِ ذَلِكَ؛ كَمَا قَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ: **﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾** [يوسف: ١٠٨].

فَمَنِ اتَّبَعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَعَا إِلَىٰ اللهِ، وَأَتْبَاعُ النَّبِيِّ ﷺ دُعَاةٌ إِلَىٰ اللهِ، كُلٌّ بِحَسَبِهِ عَلَىٰ حَسَبِ عِلْمِهِ، لَا يَتَزَيَّدُ، وَإِلَّا كَانَ دَاعِيًا إِلَىٰ غَيْرِ رَبِّهِ، وَإِلَىٰ غَيْرِ صِرَاطِهِ، وَإِلَىٰ غَيْرِ دِينِهِ، قَائِلًا عَلَىٰ اللهِ بِلَا عِلْمٍ، وَإِنَّمَا يَدْعُو إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَىٰ قَدْرِ عِلْمِهِ وَعَلَىٰ قَدْرِ طَاقَتِهِ، فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَفِي كُلِّ مَجَالٍ.(*).

*** النَّبِيُّ ﷺ يُحِبُّ لِلْمُؤْمِنِينَ الْخَيْرَ، وَيَسْعَى جُهْدَهُ فِي إِيصَالِهِ إِلَيْهِمْ، وَيَحْرِصُ عَلَى هِدَايَتِهِمْ إِلَى الْإِيمَانِ، وَيَكْرَهُ لَهُمُ الشَّرَّ، وَيَسْعَى جُهْدَهُ فِي تَنْفِيرِهِمْ عَنْهُ، وَهُوَ ﷺ بِهِمْ شَدِيدُ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ بِهِمْ.**

النَّبِيُّ ﷺ لَمَّا دَخَلَ الْأَعْرَابِيُّ فَبَالَ فِي مَسْجِدِهِ، فَبَالَ فِي مَسْجِدِهِ ﷺ وَبِمَحْضَرٍ مِنْهُ، وَهَمَّ بِهِ الْأَصْحَابُ، غَلَّبَ جَانِبَ الْمَصْلَحَةِ، وَرَاعَىٰ دَفْعَ الضَّرَرِ عَنِ الرَّجُلِ، وَقَالَ الصَّحَابَةُ: «مَهْ! مَهْ!»، يَزْجُرُونَهُ، مَاذَا تَفْعَلُ فِي الْمَسْجِدِ.. فِي مَسْجِدِ الرَّسُولِ، وَالرَّجُلُ لَا يَعْلَمُ الْأَحْكَامَ، حَدِيثُ عَهْدٍ هُوَ بِهَذَا الْحُكْمِ، لَا يَعْلَمُهُ، فَوَقَعَ فِيمَا وَقَعَ فِيهِ.

فَنَهَاهُمُ الرَّسُولُ ﷺ، وَقَالَ: «**لَا تُزْرِمُوهُ**».

وَالْإِزْرَامُ: قَطْعُ الْبَوْلِ وَالدَّمْعِ وَمَا أَشْبَهَ، فَقَطْعُهُ يَضُرُّ.. يَضُرُّ فَاعِلَهُ.

قَالَ: «**لَا تُزْرِمُوهُ**»، فَلَمَّا قَضَىٰ الرَّجُلُ حَاجَتَهُ أَتَىٰ النَّبِيُّ ﷺ بِأَمْرَيْنِ: أَزَالَ جَهَالَةَ الرَّجُلِ، وَأَمَرَ بِإِزَالَةِ النَّجَاسَةِ وَتَطْهِيرِ الْأَرْضِ؛ فَدَعَا بِدَلْوٍ مِنْ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «الدَّعْوَةُ إِلَىٰ اللهِ سَفِينَةُ النَّجَاةِ» - الْجُمُعَةُ ٨ مِنْ صَفَرٍ ١٤٢٩هـ| ١٥-٢-٢٠٠٨م.

مَاءٍ، فَأَمَرَ بِأَنْ يُرَاقَ عَلَىٰ مَوْضِعِ بَوْلِ الرَّجُلِ، فَطَهَّرَ الْمَوْضِعَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَىٰ هَذَا الرَّجُلِ فَقَالَ: «**إِنَّ الْمَسَاجِدَ لَمْ تُبْنَ لِهَذَا؛ إِنَّمَا بُنِيَتْ لِلصَّلَاةِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَذِكْرِ اللهِ**»(١). (*).

إِنَّ مَسْئُولِيَّةَ الْمُسْلِمِ عَظِيمَةٌ، وَمَعَكَ طَوْقُ النَّجَاةِ، وَالنَّاسُ يَغْرَقُونَ تَحْتَ عَيْنِكَ وَأَنْتَ تَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا تَمُدُّ لَهُمْ يَدًا بِعَوْنٍ؟!!

دِينُ اللهِ يَسْتَنْقِذُ الْبَشَرِيَّةَ مِمَّا تَرَدَّتْ فِيهِ.

دِينُ اللهِ -وَحْدَهُ- يُنْقِذُ النَّاسَ فِي الْأَرْضِ مِمَّا بَلَغُوهُ مِنْ هَذَا الِانْحِطَاطِ الْهَابِطِ.

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (رَقْم ٢٨٥)، مِنْ حَدِيثِ: أَنَسٍ رضي الله عنه، بلفظ: «**إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلَا الْقَذَرِ؛ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ عز وجل وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ**»، والحَدِيث أصله متفق عليه؛ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (رَقْم ٢١٩ و٢٢١ و٦٠٢٥)، ومُسْلِم (رَقْم ٢٨٤)، من حَدِيث: أَنَسٍ، أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَامَ إِلَيْهِ بَعْضُ الْقَوْمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**دَعُوهُ وَلَا تُزْرِمُوهُ**» قَالَ: فَلَمَّا فَرَغَ، دَعَا بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَصَبَّهُ عَلَيْهِ.

زاد في حَدِيث أبي هريرة رضي الله عنه: «...، **فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ**»، أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ أيضًا (رَقْم ٢٢٠ و٦١٢٨).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «إِنَّهُمْ يُهِينُونَ مَسَاجِدَ اللهِ» - الْجُمُعَةُ ١٢ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٢٩هـ | ١٢-٩-٢٠٠٨م.

دِينُ اللهِ.. عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يُبَلِّغُوهُ خَلْقَ اللهِ، فِي أَرْضِ اللهِ، عَلَىٰ مِنْهَاجِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ لِإِنْقَاذِ الْبَشَرِيَّةِ مِنْ دَمَارٍ تَبْدُو عَلَائِمُهُ، وَخَرَابٍ تَتَّضِحُ مَعَالِمُهُ.(*).

* **مِنْ سُبُلِ تَحْقِيقِ خَيْرِيَّةِ الْأُمَّةِ: تَحْقِيقُ الْخَيْرِ وَالنَّفْعِ لِكَافَّةِ الْبَشَرِ، وَدَفْعُ الشُّرُورِ عَنْهُمْ**؛ فَقَدْ جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ؟ وَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ؟

فَقَالَ ﷺ: «**أَحَبُّ النَّاسِ إِلَىٰ اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَىٰ اللهِ ﷻ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَىٰ مُسْلِمٍ، تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا**»(٢). (*-٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «الدَّعْوَةُ إِلَىٰ اللهِ سَفِينَةُ النَّجَاةِ» - الْجُمُعَةُ ٨ مِنْ صَفَرٍ ١٤٢٩هـ| ١٥-٢-٢٠٠٨م.

(٢) زاده رزين علىٰ الأصول الستة كما في «**جامع الأصول**» لابن الأثير: ٦/ ٥٦١، رقم (٤٧٩٢).

وأخرج نحوه: ابن أبي الدنيا في «**اصطناع المعروف**» ضمن موسوعة ابن أبي الدنيا الحديثية: ١/ ٢٨١، رقم (١١٢)، من حديث: بَعْضِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، وأخرجه الدينوري في «**المجالسة**»: ٨/ ٢٧٧-٢٧٨، رقم (٣٥٤٣)، من حديث: ابن عباس رضي الله عنهما.

وأخرجه ابن حبان في «**المجروحين**»: ١/ ٣٦٠/ ترجمة سُكَيْن بْن أَبِي سراج، والطبري في معاجمه الثلاثة في «**الكبير**»: ١٢/ ٤٥٣ رقم (١٣٦٤٦)، وفي «**الأوسط**»: ٦/ ١٣٩ -١٤٠، رقم (٦٠٢٦)، وفي «**الصغير**»: ٢/ ١٠٦ رقم (٨٦١)، وأبو نعيم في

* **مِنْ سُبُلِ تَحْقِيقِ خَيْرِيَّةِ الْأُمَّةِ: الِاعْتِدَالُ وَالتَّوَازُنُ؛ فَإِنَّ مِنْ خَصَائِصِ الإِسْلَامِ:** الِاعْتِدَالَ وَالتَّوَازُنَ، وَالِاسْتِقَامَةُ مِنْ أَهَمِّ مَعَالِمِ الدِّينِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة:٦-٧].

قَالَ الأَوْزَاعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَا مِنْ أَمْرٍ أَمَرَ اللهُ -تَعَالَىٰ- بِهِ إِلَّا عَارَضَ الشَّيْطَانُ فِيهِ بِخَصْلَتَيْنِ؛ لَا يُبَالِي أَيَّهُمَا أَصَابَ: الغُلُوُّ، أَوِ التَّقْصِيرُ»(٢).

=

«**حلية الأولياء**»: ٦/ ٣٤٨، ترجمة (٣٨٦)، من حديث: ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ؟ وَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«**أَحَبُّ النَّاسِ إِلَىٰ اللهِ -تَعَالَىٰ- أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَىٰ اللهِ -تَعَالَىٰ- سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَىٰ مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ -يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ- شَهْرًا وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ -وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ- مَلَأَ اللهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَىٰ مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّىٰ يَتَهَيَّأَ لَهُ أَثْبَتَ اللهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامُ**».

وفي لفظ: «...، **وَمَنْ مَشَىٰ مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَتِهِ كَانَ كَصِيَامِ شَهْرٍ وَاعْتِكَافِهِ، وَمَنْ مَشَىٰ مَعَ مَظْلُومٍ يُعِينُهُ ثَبَّتَ اللهُ قَدَمَيْهِ يَوْمَ تَزِلُّ الْأَقْدَامُ**،...».

والحديث حسنه لغيره الألباني في «**الصحيحة**»: ٢/ ٥٧٤، رقم (٩٠٦)، وروي عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نحوه.

(*-٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ دَرْسِ: «السَّعْيُ فِي قَضَاءِ حَاجَةِ الْآخَرِينَ».

(٢) «المقاصد الحسنة» للسخاوي (ص٢٠٥).

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ خَطًّا، ثُمَّ قَالَ: «**هَذَا سَبِيلُ اللهِ**»، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**هَذِهِ سُبُلٌ مُتَفَرِّقَةٌ، عَلَىٰ كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ**»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿**وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ**﴾(١). وَهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَالدَّارِمِيُّ، وَابْنُ أَبِي عَاصِمٍ، وَابْنُ حِبَّانَ، وَغَيْرُهُمْ.

وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ يَقْتَضِي مَعْنَىٰ الْخَيْرِيَّةِ الَّتِي بَيْنَ طَرَفَيِ التَّفْرِيطِ وَالْإِفْرَاطِ.(*).

* **النَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُنَا التَّوَازُنَ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ، بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**، نَبِيُّكُمْ ﷺ يُوَضِّحُ لَكُمْ: أَنَّ حَيَاتَكُمْ وَآخِرَتَكُمْ رَهْنٌ بِاسْتِقَامَتِكُمْ عَلَىٰ مَا جَاءَ بِهِ، وَثَلَاثَةُ النَّفَرِ الَّذِينَ أَرَادُوا الْخِصَاءَ لِكَيْ يَخْرُجُوا مِنْ حَدِّ الشَّهَوَاتِ بِاسْتِعَارِهَا فِي الدِّمَاءِ هُمْ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَرَادُوا أَنْ يَتَبَتَّلُوا؛ فَفَكَّرُوا فِي الْخِّصَاءِ لِكَيْ تَنْقَطِعَ الْمَادَّةُ بِشَهْوَتِهَا، وَلِكَيْ يَصِيرُوا جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا لِلْعِبَادَةِ وَحْدَهَا.

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ(٣) **أَنَّ**: «ثَلَاثَةَ رَهْطٍ جَاءُوا إِلَىٰ بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟! قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ.

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٤٣٥)، والدارمي (٢٠٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٦، ٧)، وصححه الألباني في «تخريج شرح الطحاوية» (ص٥٢٥).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ كِتَابِ «دَعَائِمُ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ» (مِنْ ص٣٤٧ إِلَىٰ ٣٧٤)، بِاخْتِصَارٍ وَتَصَرُّفٍ.

(٣) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: (٩/ ١٠٤، رقم ٥٠٦٣)، ومسلم في «**الصحيح**»: (٢/ ١٠٢٠، رقم ١٤٠١).

قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا.. فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا.

فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «**أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟! أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**». (*).

* **مِنْ سُبُلِ تَحْقِيقِ خَيْرِيَّةِ الْأُمَّةِ: الِاهْتِمَامُ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ؛ قِرَاءَةً، وَفَهْمًا، وَتَطْبِيقًا**؛ فَالْقُرْآنُ شَرَفٌ لِمُحَمَّدٍ ﷺ وَلِأَتْبَاعِ مُحَمَّدٍ مِنْ كُلِّ نَاطِقٍ بِهَذِهِ اللُّغَةِ الشَّرِيفَةِ لُغَةِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ؛ فَقَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا فِي كِتَابِهِ الْمَجِيدِ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤]؛ وَإِنَّهُ لَشَرَفٌ لَكَ، وَرَفْعٌ لِمَقَامِكَ يَا مُحَمَّدُ فَوْقَ رِفْعَتِهِ، وَلِقَوْمِكَ. (*/٢).

قَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩].

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الْقَرِيبَ مِنْكُمْ، الَّذِي يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ لَهُ وَظَائِفُ كُبْرَىٰ؛ مِنْهَا:

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «عَقَائِدُ الْكُفْرِ تَغْزُو الشَّبَابَ» - الْجُمُعَةُ ٥ مِنْ جُمَادَىٰ الْآخِرَةِ ١٤٣٠ هـ | ٢٩-٥-٢٠٠٩م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «شَرَفُ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ - ١» - خُطْبَةُ الْجُمُعَةِ ٢٨ مِنْ جُمَادَىٰ الثَّانِي ١٤٢٣هـ | ٦-٩-٢٠٠٢م.

أَنَّهُ يَدُلُّ وَيُرْشِدُ إِلَىٰ الطَّرِيقَةِ الَّتِي هِيَ أَقْرَبُ إِلَىٰ الِاعْتِدَالِ الْكَامِلِ فِي كُلِّ سُلُوكٍ بَشَرِيٍّ، وَيُبَشِّرُ الْقُرْآنُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا صَحِيحًا صَادِقًا الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ بِأَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا يَنَالُونَهُ فِي الْجَنَّةِ.(*).

عِبَادَ اللهِ! إِنَّ الْقُرْآنَ هُوَ الَّذِي يَحْفَظُ عَلَىٰ الْأُمَّةِ شَخْصِيَّتَهَا.

الْقُرْآنُ هُوَ الَّذِي يَحْفَظُ عَلَىٰ الْأُمَّةِ هُوِيَّتَهَا.

الْقُرْآنُ هُوَ الَّذِي تَفِيءُ إِلَيْهِ الْأُمَّةُ إِذَا مَا ادْلَهَمَّ الْخَطْبُ، وَعَمَّ الْكَرْبُ، وَوَقَعَ الظَّلَامُ، وَانْتَشَرَ الْقَلَقُ.

الْقُرْآنُ هُوَ الْمَنْبَعُ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ تَرِدَهُ الْأُمَّةُ أَفْرَادًا وَجَمَاعَاتٍ، أُمَمًا وَكُتَلًا مُتَكَتِّلَاتٍ.

الْقُرْآنُ هُوَ الَّذِي يُخْرِجُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهِ الْأُمَّةَ مِنْ حَالِ التَّفَكُّكِ وَالتَّرَهُّلِ إِلَىٰ حَالِ التَّآزُرِ وَالتَّآصُرِ.

الْقُرْآنُ هُوَ الَّذِي يَجْمَعُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهِ الْأُمَّةَ مِنَ الشَّتَاتِ، وَيُخْرِجُهَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهِ مِنَ التِّيهِ.

الْعَوْدَةُ إِلَىٰ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ أَوَّلُ الطَّرِيقِ وَأَوْسَطُهُ وَآخِرُهُ.

الْعَوْدَةُ إِلَىٰ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ سِرُّ حَيَاةِ الْأُمَّةِ.

التَّأَمُّلُ فِي كِتَابِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا هُوَ طَوْقُ النَّجَاةِ لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [الإسراء: ٩].

وَوَاللهِ ثُمَّ وَاللهِ ثُمَّ وَاللهِ قَسَمًا غَيْرُ مُضْطَرٍّ فِيهِ وَلَا حَانِثٍ.. أَلَّا مَخْرَجَ وَلَا مَنْجَىٰ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ بِالْعَوْدَةِ إِلَىٰ كِتَابِهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ؛ لِلْخُرُوجِ مِنْ حَالَةِ الشَّتَاتِ، لِلْعَوْدَةِ مِنَ التِّيهِ إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ.(*).

*** وَمِنْ مُقَوِّمَاتِ تَحْقِيقِ خَيْرِيَّةِ الْأُمَّةِ: تَحَلِّي أَبْنَاءِ الْأُمَّةِ بِحُسْنِ الْخُلُقِ مَعَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ**؛ فَقَدْ قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿**وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا**﴾ [البقرة: ٨٣]؛ **وَمِنَ الْقَوْلِ الْحَسَنِ: أَمْرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيُهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتَعْلِيمُهُمُ الْعِلْمَ، وَبَذْلُ السَّلَامِ، وَالْبَشَاشَةُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ كُلِّ كَلَامٍ طَيِّبٍ.**

فِي الْمِيثَاقِ الَّذِي أَخَذَ اللهُ -تَعَالَىٰ- عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿**وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا**﴾.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ(٢): «قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿**وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا**﴾؛ أَيْ: كَلِّمُوهُمْ طَيِّبًا، وَلِينُوا لَهُمْ جَانِبًا، وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ بِالْمَعْرُوفِ، كَمَا قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿**وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا**﴾.

فَالْحَسَنُ مِنَ الْقَوْلِ: يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَيَحْلُمُ وَيَعْفُو وَيَصْفَحُ، وَيَقُولُ لِلنَّاسِ حُسْنًا كَمَا قَالَ اللهُ، وَهُوَ كُلُّ خُلُقٍ حَسَنٍ رَضِيَهُ اللهُ».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «شَرَفُ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ - ٤» - خُطْبَةُ الْجُمُعَةِ ٢٠ مِنْ رَجَبٍ ١٤٢٣هـ| ٢٧-٩-٢٠٠٢م.

(٢) «**تفسير القرآن العظيم**»: ١/ ٣١٧.

وَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الْقَوْلَ الطَّيِّبَ الْحَسَنَ لَا يَذْهَبُ سُدًى، وَلَا يَضِيعُ بَدَدًا، بَلْ صَاحِبُهُ مَأْجُورٌ عَلَيْهِ مُثَابٌ عَلَىٰ قَوْلِهِ؛ فَفِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ: «**وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ**»(١). (*).

وَحَصَرَ النَّبِيُّ ﷺ الْغَايَةَ مِنَ الْبَعْثَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ فِي تَمَامِ صَالِحِ الْأَخْلَاقِ؛ فَقَالَ ﷺ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ؛ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ**»(٣).

فَلَا عَجَبَ -إِذَنْ- أَنْ يَكُونَ حُسْنُ الْخُلُقِ غَايَةَ الْغَايَاتِ فِي سَعْيِ الْعَبْدِ لِاسْتِكْمَالِ الصِّفَاتِ عَلَىٰ أَسَاسٍ مِنَ التَّوْحِيدِ الْمَكِينِ، وَثَابِتِ الْإِخْلَاصِ وَالْيَقِينِ.

وَقَدْ كَانَ إِمَامُ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ فِي «حُسْنِ الْخُلُقِ» عَلَىٰ الْقِمَّةِ الشَّامِخَةِ، وَفَوْقَ الْغَايَةِ وَالْمُنْتَهَىٰ؛ فَكَانَ كَمَا قَالَ عَنْهُ رَبُّهُ ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

وَهُوَ ﷺ مَعَ ذَلِكَ لَا يَنْفَكُّ يَدْعُو رَبَّهُ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ بِقَوْلِهِ: «**اللَّهُمَّ اهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ؛ فَإِنَّهُ لا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: ٦/ ٨٥ رقم (٢٨٩١)، ومسلم في «**الصحيح**»: ٢/ ٦٩٩ رقم (١٠٠٩)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ كِتَابِ: «شَأْنُ الْكَلِمَةِ فِي الْإِسْلَامِ» (ص: ١٦-١٧) - لِلشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيد رَسْلَان -حَفِظَهُ اللهُ-.

(٣) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ١٩٢، دار صادر)، وأحمد في «مسنده» (٢/ ٣٨١، رقم ٨٩٥٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (رقم ٢٧٣)، والحاكم (٢/ ٦١٣، رقم ٤٢٢١)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١/ رقم ٤٥)

(٤) أخرجه مسلم في «صحيحه» (رقم ٧٧١).

يَطْلُبُ مِنْ رَبِّهِ أَنْ يُرْشِدَهُ لِصَوَابِ الْأَخْلَاقِ، وَيُوَفِّقَهُ لِلتَّخَلُّقِ بِهِ، وَأَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ قَبِيحَ الْأَخْلَاقِ وَمَذْمُومَ الصِّفَاتِ، وَيُبْعِدَ ذَلِكَ عَنْهُ، مَعَ أَنَّهُ ﷺ عَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ، وَمَعَ أَنَّ خُلُقَهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ.(*).

*** وَمِنْ سُبُلِ تَحْقِيقِ خَيْرِيَّةِ الْأُمَّةِ: التَّوْبَةُ مِنَ الْمَعَاصِي، وَالْإِقْلَاعُ عَنِ الذُّنُوبِ؛** فَإِنَّ مَعْصِيَةَ اللهِ -تَعَالَىٰ- تُزِيلُ النِّعَمَ، وَتُحِلُّ النِّقَمَ، وَمَا زَالَتْ عَنِ الْعَبْدِ نِعْمَةٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَلَا حَلَّتْ بِهِ نِقْمَةٌ إِلَّا بِذَنْبٍ؛ «فَمَا نَزَلَ بَلَاءٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَلَا رُفِعَ إِلَّا بِتَوْبَةٍ».

قَالَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [الشورىٰ: ٣٠].

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [الأنفال: ٥٣].

فَأَخْبَرَ -تَعَالَىٰ- أَنَّهُ لَا يُغَيِّرُ نِعَمَهُ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَىٰ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَكُونَ هُوَ الَّذِي يُغَيِّرُ مَا بِنَفْسِهِ، فَيُغَيِّرُ طَاعَةَ اللهِ بِمَعْصِيَتِهِ، وَشُكْرَ اللهِ بِكُفْرِهِ، وَأَسْبَابَ رِضَاهُ -تَعَالَىٰ- بِأَسْبَابِ سَخَطِهِ، فَإِذَا غَيَّرَ غُيِّرَ عَلَيْهِ جَزَاءً وِفَاقًا، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

فَمَنْ صَفَّىٰ صُفِّيَ لَهُ، وَمَنْ كَدَّرَ كُدِّرَ عَلَيْهِ(٢)، وَمَنْ شَابَ شِيبَ لَهُ، فَمَنْ أَحْسَنَ أُحْسِنَ إِلَيْهِ، وَعَلَىٰ مَنْ أَسَاءَ السُّوأَىٰ، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِاخْتِصَارٍ مِنْ كِتَابِ «حُسْنُ الْخُلُقِ»، الطَّبْعَةُ الثَّالِثَةُ.

(٢) ذكره ابن الجوزي في «**صفة الصفوة**»: ٢/ ٣٨٤، من قول أبي سليمان الداراني، وأخرج نحوه ابن أبي شيبة في «**المصنف**»: ١٤/ ٢٦، رقم (٣٥٥٩٠)، وأبو نعيم في

قَالَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

الْفَسَادُ الْمَذْكُورُ فِي الْآيَةِ الْمُرَادُ بِهِ: الذُّنُوبُ وَمُوجِبَاتُهَا، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُه تَعَالَىٰ: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا۟﴾؛ فَهَذَا حَالُنَا!!

﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا۟﴾، وَإِنَّمَا أَذَاقَنَا الشَّيْءَ الْيَسِيرَ مِنْ أَعْمَالِنَا، وَلَوْ أَذَاقَنَا كُلَّ أَعْمَالِنَا لَمَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ.

وَكُلَّمَا أَحْدَثَ الْعِبَادُ ذَنْبًا أَحْدَثَ اللهُ لَهُمْ عُقُوبَةً؛ فَالْمَعَاصِي تُحْدِثُ فِي الْأَرْضِ أَنْوَاعًا مِنَ الْفَسَادِ؛ فِي الْمِيَاهِ، وَفِي الْهَوَاءِ، وَفِي الزَّرْعِ وَالثِّمَارِ، وَالْمَسَاكِنِ، وَالنُّفُوسِ، وَالتَّصَوُّرَاتِ وَحَرَكَةِ الْحَيَاةِ.

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

إِنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- جَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا، وَجَعَلَ الْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ سَبَبًا لِنِقْمَتِهِ وَعَذَابِهِ وَحُلُولِ عِقَابِهِ عَلَىٰ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦].

=

«**حلية الأولياء**»: ١٠/ ٣٩٥، بإسناد صحيح، عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ، قَالَ: «مَنْ أَصْفَىٰ صُفِّيَ لَهُ، وَمَنْ خَلَطَ خُلِطَ عَلَيْهِ»، وقال مالك بن دينار، وذو النون المصري نحوه أيضًا.

أَيْ: أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا أَمْرًا قَدَرِيًّا؛ فَإِنَّ اللهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ، وَقِيلَ: سَخَّرَهُمْ إِلَىٰ فِعْلِ الْفَوَاحِشِ، فَاسْتَحَقُّوا الْعَذَابَ، وَقِيلَ: أَمَرْنَاهُمْ بِالطَّاعَاتِ فَفَعَلُوا الْفَوَاحِشَ، فَاسْتَحَقُّوا الْعِقَابَ، ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾.(*).

عَلَيْنَا أَنْ نَدُلَّ الْأُمَّةَ عَلَىٰ أَنَّ مَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ إِنَّمَا هُوَ بِسَبَبِ ذُنُوبِ أَفْرَادِهَا، وَلَا مَخْلَصَ لَهُمْ مِمَّا تَوَرَّطُوا فِيهِ إِلَّا بِإِحْدَاثِ التَّوْبَةِ إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ فَإِنَّ اللهَ جَلَّوَعَلَا قَدْ عَاقَبَ مَنْ كَانَ مَعَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ لَمَّا خَالَفُوا أَمْرًا وَاحِدًا مِنْ أَوَامِرِ النَّبِيِّ ﷺ.

أَمَرَهُمْ بِأَنْ يَلْزَمُوا الْجَبَلَ، وَأَلَّا يَنْزِلُوا عَنْهُ وَإِنْ رَأَوُا الْمُشْرِكِينَ يَرْكَبُونَ أَكْتَافَ الْمُسْلِمِينَ، فَلَمَّا دَارَتِ الدَّائِرَةُ عَلَىٰ الْمُشْرِكِينَ، وَبَدَأَ مَنْ فِي السَّاحَةِ يَجْمَعُ الْغَنَائِمَ، وَتَوَلَّىٰ الْمُشْرِكُونَ مُدْبِرِينَ، نَزَلَ مَنْ نَزَلَ عَنِ الْجَبَلِ مِنَ الرُّمَاةِ، فَكَانَتِ الْكَسْرَةُ.

وَبَيَّنَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَنَّ ذَلِكَ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيهِمْ، وَالنَّبِيُّ بَيْنَهُمْ ﷺ، بَلْ أَصَابَهُ ﷺ مَا أَصَابَهُ لَمَّا وَقَعَ فَجُحِشَ جَنْبُهُ -أَيْ جُرِحَ-، وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ، وَدَخَلَتْ حَلْقَةٌ مِنْ حَلْقَاتِ الْمِغْفَرِ فِي وَجْنَتِهِ ﷺ، وَتَصَايَحَ الْكُفَّارُ: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ! ﷺ، وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ شَهِيدًا حَمِيدًا سَبْعُونَ مِنَ الصَّحَابَةِ -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ-.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةِ: «إِنَّ غَدًا لِنَاظِرِهِ قَرِيبٌ» - الْجُمُعَةُ ٢٥ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٣ هـ| ١٥-٠٦-٢٠١٢ م.

كُلُّ ذَلِكَ لِلْمُخَالَفَةِ فِي أَمْرٍ وَاحِدٍ، أَفَتَحْسَبُ الْأُمَّةُ أَنَّ أَفْرَادَهَا أَكْرَمُ عَلَىٰ اللهِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟!! فَتَعْصِي الْأُمَّةُ أَمْرَهُ وَتَسْتَنْزِلُ خَيْرَهُ، وَتَطْلُبُ تَأْيِيدَهُ وَنَصْرَهُ بِالْمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ، بِالْخُرُوجِ عَلَىٰ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ وَمَنْهَجِ السَّلَفِ، وَالِابْتِدَاعِ وَالْإِحْدَاثِ فِي دِينِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ بِتَحْزِيبِ الْأُمَّةِ أَحْزَابًا كَفِعْلِ السَّابِقِينَ مِنَ الْهَالِكِينَ، بِجَعْلِ الْبَأْسِ بَيْنَهُمْ أَحْزَابًا مُتَنَافِرَةً وَجَمَاعَاتٍ مُتَنَاحِرَةً، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مَعْلُومٌ؟!!

وَكُلُّهَا مُخَالَفَاتٌ مِنْ أَعْظَمِ مَا تَكُونُ الْمُخَالَفَاتُ، وَأَيْنَ هِيَ مِنْ تَرْكِ الرُّمَاةِ الْجَبَلَ مُخَالَفَةً لِأَمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟!!

فَعَلَيْنَا أَنْ نَبْدَأَ مِنْ حَيْثُ يَنْبَغِي أَنْ نَبْدَأَ، عَلَيْنَا أَنْ نَتُوبَ إِلَىٰ اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا، لَقَدْ اسْتَمْرَأْنَا الذُّنُوبَ وَالْمَعَاصِيَ! أَلِفْنَاهَا حَتَّىٰ اسْتَمْرَأْنَاهَا وَاسْتَحْلَيْنَاهَا!! فَانْعَكَسَ الْأَمْرُ عَلَيْنَا؛ لِأَنَّ «**الْعَبْدَ إِذَا ارْتَكَبَ الْمَعْصِيَةَ وَالذَّنْبَ نُكِتَ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، حَتَّىٰ يَصِيرَ الْقَلْبُ أَسْوَدَ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا، لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ**»(١).

قُلُوبٌ قَاسِيَةٌ، وَأَرْوَاحٌ جَافِيَةٌ، وَأَبْدَانٌ عَنِ الطَّاعَةِ نَافِرَةٌ، وَنُفُوسٌ فِي أَوْدِيَةِ الضَّلَالِ حَائِرَةٌ.. إِلَىٰ مَتَىٰ؟!

---

(١) جزء من حَدِيث الْفِتَن الَّتِي تَمُوجُ مَوْجَ الْبَحْرِ، الذي أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحه» (رَقْم ١٤٤)، من رِوَايَة: حُذَيْفَةَ رضي الله عنه.

عَلَيْنَا أَنْ نَتُوبَ، إِنْ تُبْنَا وَصَدَقْنَا مَعَ اللهِ فِي تَوْبَتِنَا رَفَعَ اللهُ كُرْبَتَنَا، وَأَحْسَنَ إِلَيْنَا، وَتَقَبَّلَ تَوْبَتَنَا وَأَوْبَتَنَا.(*).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ مِنْ حَالٍ إِلَىٰ حَالٍ أُخْرَىٰ مُنَاقِضَةٍ لِلْأُولَىٰ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ، فَإِنْ غَيَّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ مِنْ سَيِّئٍ إِلَىٰ حَسَنٍ؛ غَيَّرَ اللهُ أَحْوَالَهُمْ مِنْ سَيِّئٍ إِلَىٰ حَسَنٍ، وَإِنْ غَيَّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ مِنْ حَسَنٍ إِلَىٰ قَبِيحٍ؛ غَيَّرَ اللهُ أَحْوَالَهُمْ، وَأَحَلَّ بِهِمْ نِقْمَتَهُ.(*/٢).

* **مِنْ سُبُلِ تَحْقِيقِ خَيْرِيَّةِ الْأُمَّةِ: الْعَمَلُ بِالْعِلْمِ**؛ فَهَذَا هُوَ الْجِيلُ الَّذِي نَشَّأَهُ الرَّسُولُ ﷺ وَرَبَّاهُ، فَمَلَكَ الْعَالَمَ كُلَّهُ، وَدَانَ الْعَالَمُ كُلُّهُ لـ«**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ عَنْ وَصْفِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ: «**مَنْ كَانَ عَلَىٰ مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي**»(٣).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خِطْبَةِ: «سَبَبُ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ» - الْجُمُعَةُ ١٤ مِنْ جُمَادَىٰ الْأُولَىٰ ١٤٣٣هـ| ٦-٤-٢٠١٢م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [الرعد: ١١].

(٣) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «الجامع» (رَقْم ٢٦٤١)، من حَدِيث: عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَيَأْتِيَنَّ عَلَىٰ أُمَّتِي مَا أَتَىٰ عَلَىٰ بني إسرائيل حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، حَتَّىٰ إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَىٰ أُمَّهُ عَلَانِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ، وَإِنَّ بني إسرائيل تَفَرَّقَتْ عَلَىٰ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً**»، قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**».

=

مَا الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ؟

«تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ عَشْرَ آيَاتٍ عَشْرَ آيَاتٍ، لَا يُجَاوِزُوهُنَّ حَتَّىٰ يَفْقَهُوهُنَّ وَيَعْمَلُوا بِهِنَّ، فَتَعَلَّمُوا الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ جَمِيعًا»(١).

هَلْ كَانَ أَصْحَابُهُ يُفَاوِتُونَ بَيْنَ الْقُوَّتَيْنِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ؟

هَلْ حَرَصُوا عَلَىٰ الْكَمِّ يَوْمًا دُونَ الْكَيْفِ؟

مَا الْتَفَتُوا إِلَيْهِ.

﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، وَكَانُوا فِي بَدْرٍ ثُلَّةً صَالِحَةً مُؤْمِنَةً مُوَحِّدَةً، وَكَانُوا فِي حُنَيْنٍ كَثْرَةً كَاثِرَةً، وَتَفَاوَتَ مَا بَيْنَ النَّتِيجَتَيْنِ بَدْءًا وَمُنْتَهًىٰ، فَتَأَمَّلْ..!

=

والحَدِيث حسن إِسْنَاده لغيره الْأَلْبَانِيُّ في «صحيح الجامع» (رَقْم ٥٣٤٣)، وفي هامش «صلاة العيدين» (ص ٤٦، التعليق ١)، وانظر: «السلسلة الصحيحة» (٣/ ٣٣٥، رَقْم ١٣٤٨).

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ سَعْدٍ فِي «الطَّبَقَات الْكُبْرَىٰ» (٨/ ١٩٢، ترجمَة أبي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ: ٢٩١٦/ ط الْخَانْجِي)، وابْن أَبِي شَيْبَةَ في «الْمُصَنَّف» (رَقْم ٢٩٩٢٩)، وأَحْمَد في «الْمُسْنَد» (٥/ ٤١٠، رَقْم ٢٣٤٨٢)، وَالطَّحَاوِيّ في «شَرْح مُشْكِل الْآثَار» (٤/ ٨٣، رَقْم ١٤٥١)، بِإِسْنَادٍ صَحِيح، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ، قَالَ: «**حَدَّثَنَا مَنْ كَانَ يُقْرِئُنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا تَعَلَّمُوا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَشْرَ آيَاتٍ، لَمْ يُجَاوِزُوهُنَّ إِلَىٰ الْعَشْرِ الْأُخَرِ حَتَّىٰ يَعْلَمُوا مَا فِيهِنَّ مِنَ الْعَمَلِ**، قَالَ: **فَتَعَلَّمْنَا الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ جَمِيعًا**».

فَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ لَا يَصْلُحُ آخِرُهَا إِلَّا بِمَا صَلُحَ عَلَيْهِ أَوَّلُهَا؛ بِالْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ، بِالْعِلْمِ النَّافِعِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

يَا طُلَّابَ الْعِلْمِ عَلَىٰ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ وَمَنْهَجِ السَّلَفِ، يَقُولُ نَبِيُّكُمْ ﷺ فِي بَيَانِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ ﷺ: «**مَنْ كَانَ عَلَىٰ مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي**»(١).

وَهَذَا أَصْلٌ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ: «أَخْبَرَنَا الَّذِينَ كَانُوا يُقْرِئُونَنَا الْقُرْآنَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَنَّهُمْ تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ عَشْرَ آيَاتٍ، لَا يُجَاوِزُوهُنَّ حَتَّىٰ يَفْقَهُوهُنَّ وَيَعْمَلُوا بِهِنَّ»(٢).

إِنَّمَا تَتَعَلَّمُ لِتَعْمَلَ، أَمَّا هَذَا الْهَرَجُ الْهَارِجُ، وَهَذَا الْعَبَثُ الْعَابِثُ، فَلَا يَزِيدُكَ مِنَ اللهِ إِلَّا بُعْدًا.

تَيَّقَظْ، وَتُبْ، وَأَنِبْ، وَاسْتَغْفِرْ، وَعُدْ، وَاقْرِنْ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، وَدَعْكَ مِنْ بَهَارِجِ الزِّينَةِ.(*).

* **مِنْ سُبُلِ تَحْقِيقِ خَيْرِيَّةِ الْأُمَّةِ: الِاجْتِهَادُ فِي الْعَمَلِ وَالْإِنْتَاجِ**؛ فَإِنَّ الْإِسْلَامَ يَدْعُو الْمُؤْمِنِينَ بِهِ إِلَىٰ الْعَمَلِ، وَيَحُثُّهُمْ عَلَىٰ السَّعْيِ وَالتَّكَسُّبِ، فَهُوَ دِينٌ يُؤَكِّدُ عَلَىٰ الْحَرَكَةِ وَالْحَيَوِيَّةِ، وَيَذُمُّ الْكَسَلَ وَالْخُمُولَ وَالِاتِّكَالِيَّةَ؛ إِذْ لَا مَكَانَ فِيهِ

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «تَيَقَّظْ وَانْتَبِهْ» - الْجُمُعَةُ ١٩ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣٣هـ| ٥-١٠-٢٠١٢م.

لِلِاسْتِرْخَاءِ وَالْبَطَالَةِ، وَالِاعْتِمَادِ عَلَىٰ الْآخَرِينَ وَاسْتِجْدَائِهِمْ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَىٰ الِاسْتِغْنَاءِ عَنْهُمْ.

فَالْإِسْلَامُ دِينُ عِبَادَةٍ وَعَمَلٍ، يَحُثُّ الْجَمِيعَ عَلَىٰ الْإِنْتَاجِ وَالْإِبْدَاعِ، وَيَهِيبُ بِفِئَاتِ الْمُجْتَمَعِ كَافَّةً أَنْ تَنْهَضَ وَتَعْمَلَ بِإِتْقَانٍ، وَيَقُومُ كُلٌّ بِدَوْرِهِ الَّذِي أَقَامَهُ اللهُ فِيهِ؛ لِنَفْعِ الْأُمَّةِ وَإِفَادَتِهَا.

وَلَنَا فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ وَفِي صَحَابَتِهِ الْكِرَامِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَعْظَمُ قُدْوَةٍ، وَخَيْرُ أُسْوَةٍ، كَانَتْ حَيَاتُهُمْ كُلُّهَا جِدًّا وَاجْتِهَادًا، وَعَمَلًا وَحَيَوِيَّةً وَنَشَاطًا.(*).

* **مِنْ سُبُلِ تَحْقِيقِ خَيْرِيَّةِ الْأُمَّةِ: الِاهْتِمَامُ بِالْعُلُومِ الْمَادِّيَّةِ الْحَدِيثَةِ**؛ فَإِنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ يَحُضُّ الْمُسْلِمِينَ عَلَىٰ التَّرَقِّي فِي الْعُلُومِ، وَفِي النَّظَرِ فِي آفَاقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَعَلَىٰ النَّظَرِ فِي الْأَنْفُسِ، بَلْ وَعَلَىٰ النَّظَرِ فِيمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ، وَهُوَ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ مَنْ وَصَلَ مِمَّنْ نَظَرُوا فِي أَمْثَالِ هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي حَدَّدَهُ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ، وَهُوَ مَا تَحْتَ الثَّرَىٰ، فَاسْتَخْرَجُوا الْمَعَادِنَ، وَاسْتَخْرَجُوا تِلْكَ الْمَادَّةَ الَّتِي صَارَتْ طَاقَةً لَا يَسْتَغْنِي عَنْهَا الْعَالَمُ الْيَوْمَ.

وَكُلُّ ذَلِكَ أَشَارَ إِلَيْهِ الْقُرْآنُ إِشَارَةً مُجْمَلَةً ﴿وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ [طه: ٦].

فَالْمُسْلِمُونَ لَمَّا أَخَذُوا بِتَعَالِيمِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ تَقَدَّمُوا حَتَّىٰ مَلَكُوا الْعَالَمَ الْقَدِيمَ كُلَّهُ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ -بِاخْتِصَارٍ يَسِيرٍ- مِنْ خُطْبَةِ: «انْتِصَارَاتُ الْمُسْلِمِينَ فِي رَمَضَانَ» - الْجُمُعَة ٩ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٩هـ | ٢٥-٥-٢٠١٨م.

قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «فَهَذَا الدِّينُ الْإِسْلَامِيُّ يَحُثُّ عَلَىٰ الرُّقِيِّ الصَّحِيحِ وَالْقُوَّةِ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ، عَكْسَ مَا افْتَرَاهُ أَعْدَاؤُهُ أَنَّهُ -أَيِ الْإِسْلَامَ- مُخَدِّرٌ مُفَتِّرٌ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ كَذِبَهُمْ وَافْتِرَاءَهُمْ عَنْهُ، وَلَكِنَّ الْمُبَاهَتَاتِ وَالْمُكَابَرَاتِ سَهَّلَتْ عَلَيْهِمْ، وَظَنُّوا مِنْ جَهْلِهِمْ أَنَّهَا تَرُوجُ عَلَىٰ الْعُقَلَاءِ.

وَكُلُّ عَاقِلٍ يَعْلَمُ كَذِبَهُمْ وَافْتِرَاءَهُمْ، وَإِنَّمَا يَغْتَرُّ بِهِمُ الْجَاهِلُونَ الضَّالُّونَ الَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَ عَنِ الْإِسْلَامِ لَا قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا.

بَلْ يُصَوِّرُ لَهُمْ هَؤُلَاءِ الْأَعْدَاءُ الْإِسْلَامَ بِصُوَرٍ شَنِيعَةٍ؛ لِيُرَوِّجُوا مَا يَقُولُونَهُ مِنَ الْبَاطِلِ، وَإِلَّا فَمَنْ عَرَفَ الْإِسْلَامَ مَعْرِفَةً صَحِيحَةً عَرَفَ أَنَّهُ لَا تَسْتَقِيمُ أُمُورُ الْبَشَرِ دِينِيُّهَا وَدُنْيَوِيُّهَا إِلَّا بِهِ، وَأَنَّ تَعَالِيمَهُ الْحَكِيمَةَ أَكْبَرُ بُرْهَانٍ عَلَىٰ أَنَّهُ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ، عَالِمٍ بِالْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، رَحِيمٍ بِعِبَادِهِ؛ حَيْثُ شَرَعَ لَهُمْ هَذَا الدِّينَ». انْتَهَىٰ كَلَامُ السَّعْدِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! طِيبُوا نَفْسًا بِهَذَا الدِّينِ الْخَاتَمِ الَّذِي رَضِيَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَكُمْ، وَالَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْكُمْ بِهِ.

إِنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ يَأْمُرُنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَأَنْ نَجْتَهِدَ فِي النَّظَرِ فِي الْآفَاقِ وَفِي الْأَنْفُسِ، وَفِيمَا بَثَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي تَضَاعِيفِ هَذَا الْكَوْنِ مِنَ الْآيَاتِ؛ لِكَيْ نَضَعَ أَيْدِينَا عَلَىٰ الْأَسْرَارِ الَّتِي تَرْتَقِي بِهَا الْحَيَاةُ.

---

(١) «الدلائل القرآنية» (٣/ ٤٨٦/ مجموع مؤلفات السعدي).

فَجَعَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كُلَّ مَا يُؤَدِّي إِلَىٰ تَرْقِيَةِ الْإِنْسَانِ فِيمَا هُوَ مَخْلُوقٌ لَهُ، جَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ عِبَادَةً لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

فَهَذَا الدِّينُ الْعَظِيمُ هُوَ دِينُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الَّذِي أَكْمَلَهُ وَرَضِيَهُ لِخَلْقِهِ فِي أَرْضِهِ، وَهُوَ يَحْمِلُ فِي آيَاتِهِ وَتَضَاعِيفِهِ الْبَرَاهِينَ الدَّالَّةَ عَلَىٰ صِدْقِ مَنْ أَتَىٰ بِهِ مِنْ لَدُنْ رَبِّهِ.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ «شَرْحُ الدَّلَائِلِ الْقُرْآنِيَّةِ فِي أَنَّ الْعُلُومَ وَالْأَعْمَالَ النَّافِعَةَ الْعَصْرِيَّةَ دَاخِلَةٌ فِي الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ» - الْمُحَاضَرَةُ الْأُولَىٰ - السَّبْتُ ١٤ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٤هـ| ١٩-١٠-٢٠١٣م.

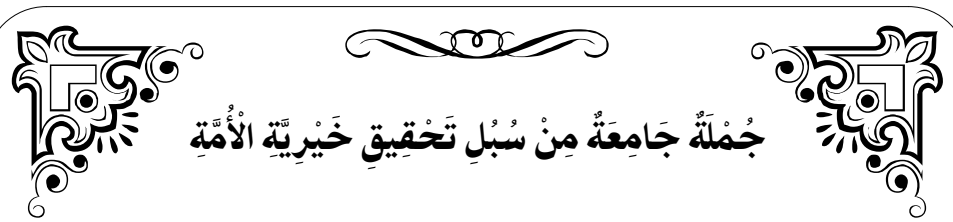

جُمْلَةٌ جَامِعَةٌ مِنْ سُبُلِ تَحْقِيقِ خَيْرِيَّةِ الْأُمَّةِ

قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٢- ١٠٥].

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَاتَّبَعُوا رَسُولَهُ! اتَّقُوا اللهَ اتِّقَاءً وَاجِبًا ثَابِتًا، وَذَلِكَ بِأَنْ يُطَاعَ فَلَا يُعْصَىٰ، وَيُشْكَرَ فَلَا يُكْفَرَ، وَيُذْكَرَ فَلَا يُنْسَىٰ، وَاثْبُتُوا عَلَىٰ الْإِسْلَامِ إِلَىٰ الْمَمَاتِ، حَتَّىٰ تَلْقَوُا اللهَ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ مُذْعِنُونَ لِلْحَقِّ.

وَالْجَئُوا إِلَىٰ مَا يَعْصِمُ مِنَ الْهَلَاكِ وَالضُّرِّ وَالْأَذَىٰ وَتَسَلُّطِ أَعْدَائِكُمْ عَلَيْكُمْ وَاجْتِمَاعِهِمْ ضِدَّكُمْ؛ بِالتَّمَسُّكِ بِشَرِيعَةِ اللهِ الْمُحْكَمَةِ، وَاقْبِضُوا عَلَيْهَا بِشِدَّةٍ حَتَّىٰ تَظْفَرُوا بِالْعِصْمَةِ الْمُنْجِيَةِ مِنَ الْهَلَاكِ حَالَ كَوْنِكُمْ مُجْتَمِعِينَ.

وَلَا تَأْخُذُوا بِجُزْءٍ مِنْهَا دُونَ جُزْءٍ؛ فَإِنَّهَا كُلٌّ لَا يَقْبَلُ التَّجْزِئَةَ، وَلَا تَتَفَرَّقُوا كَمَا تَفَرَّقَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ، وَابْتَعِدُوا عَنْ كُلِّ أَسْبَابِ الْفُرْقَةِ وَالْخِلَافِ وَالشِّقَاقِ، وَاذْكُرُوا يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ بِالْإِسْلَامِ؛ إِذْ كُنْتُمْ قَبْلَ الْإِسْلَامِ أَعْدَاءً مُتَفَرِّقِينَ، فَأَلَّفَ بِالْإِسْلَامِ وَبِنَبِيِّهِ ﷺ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ، فَصِرْتُمْ بِرَحْمَتِهِ وَبِدِينِهِ إِخْوَانًا مُتَحَابِّينَ.

وَكُنْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ عَلَىٰ طَرَفِ حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ بِشِرْكِكُمْ وَظُلْمِكُمْ وَفِسْقِكُمْ وَعُدْوَانِكُمْ، لَيْسَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْوُقُوعِ فِيهَا إِلَّا أَنْ تَمُوتُوا عَلَىٰ كُفْرِكُمْ؛ فَخَلَّصَكُمْ بِالْإِيمَانِ الصَّحِيحِ وَتَعَالِيمِ الْإِسْلَامِ وَشَرَائِعِهِ مِنَ الْوُقُوعِ فِي النَّارِ.

وَمَا كَانَ سَبَبَ إِنْقَاذِكُمْ مِنْ قَبْلُ وَسَبَبَ وَحْدَتِكُمْ وَقُوَّتِكُمْ هُوَ السَّبَبُ الَّذِي سَيَظَلُّ أَبَدَ الدَّهْرِ لِإِنْقَاذِكُمْ وَوَحْدَتِكُمْ وَقُوَّتِكُمْ.

بِمِثْلِ ذَلِكَ الْبَيَانِ الْبَلِيغِ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِ الْقُرْآنِ؛ رَغْبَةَ أَنْ تَهْتَدُوا إِلَىٰ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ، وَتُقَارِنُوا بَيْنَ مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ فِي جَاهِلِيَّتِكُمْ قَبْلَ الْإِسْلَامِ وَمَا تَحَوَّلْتُمْ إِلَيْهِ بِالْإِسْلَامِ الَّذِي كَانَ نِعْمَةً سِيقَتْ مِنَ اللهِ ﷻ إِلَيْكُمْ.

وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- جَمَاعَةٌ دُعَاةٌ إِلَىٰ مَا فِيهِ صَلَاحُ النَّاسِ جَمِيعًا فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، وَتَأْمُرُ بِكُلِّ فِعْلٍ حَسَنٍ يُسْتَحْسَنُ فِي الشَّرْعِ وَالْعَقْلِ، وَتَنْهَىٰ عَنْ كُلِّ مَا عُرِفَ فِي الشَّرْعِ وَالْعَقْلِ قُبْحُهُ دَاخِلَ جَمَاعَاتِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ عَرَفُوا أَوَامِرَ الدِّينِ، وَعَرَفُوا حُسْنَهَا، وَعَرَفُوا نَوَاهِيَ الدِّينِ، وَعَرَفُوا قُبْحَهَا؛ فَهَذَا إِذَا مَا كَانَتْ (مِنْ) فِي الْآيَةِ تَبْعِيضِيَّةً: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾.

وَأَمَّا إِذَا كَانَتْ (مِنْ) بَيَانِيَّةً؛ فَمَعْنَىٰ الْآيَةِ: فَلْتَكُونُوا جَمِيعًا أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَىٰ الْخَيْرِ، وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: وَأُولَئِكَ ذَوِي الْمَنْزِلَةِ الرَّفِيعَةِ عِنْدَ اللهِ، الَّذِينَ قَامُوا بِوَظِيفَتَيِ الدَّعْوَةِ إِلَىٰ الْخَيْرِ وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ؛ هُمُ الْفَائِزُونَ بِكُلِّ مَطْلُوبٍ، الظَّافِرُونَ بِالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ وَالسَّعَادَةِ الْخَالِدَةِ.

وَلَا تَكُونُوا -يَا مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ- كَأَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ الَّذِينَ تَفَرَّقُوا بِسَبَبِ الْعَدَاوَةِ وَاتِّبَاعِ الْهَوَىٰ، وَاخْتَلَفُوا فِي دِينِ اللهِ وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْحُجَجُ الْوَاضِحَاتُ؛ فَعَلِمُوهَا ثُمَّ خَالَفُوهَا، وَلِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا عَذَابٌ عَظِيمٌ فِي الْآخِرَةِ.(*).

عِبَادَ اللهِ! لَنْ تُفْلِحَ الْأُمَّةُ وَلَنْ تَصِلَ إِلَىٰ غَرَضِهَا، وَلَنْ تُحَصِّلَ مَقْصُودَهَا إِلَّا بِالْعَوْدَةِ إِلَىٰ كِتَابِ رَبِّهَا وَسُنَّةِ نَبِيِّهَا ﷺ بِفَهْمِ سَلَفِهَا الصَّالِحِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ -ﷺ وَرَضِيَ عَنْهُمْ- وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ -رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ أَجْمَعِينَ-.

فَهَذِهِ سَبِيلُ النَّجَاةِ، لَا سَبِيلَ لِلنَّجَاةِ سِوَاهَا، وَأَمَّا التَّخَبُّطُ، وَأَمَّا هَذَا الْهَرَجُ الَّذِي تُعَانِي مِنْهُ الْأُمَّةُ.. فَهَذَا هُوَ الْمَضِيقُ الَّذِي لَا مَخْرَجَ لَهُ، وَالْمَأْزِقُ الَّذِي لَا

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» -[آل عمران: ١٠٢-١٠٥].

نَجَاةَ مِنْهُ إِلَّا بِأَنْ تَكُونَ الْأُمَّةُ عَلَىٰ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ بِلَا تَخَالُفٍ وَلَا تَدَابُرٍ، وَلَا شَحْنَاءَ وَلَا بَغْضَاءَ.(*/٢).

إِنَّ صَلَاحَ الأُمَّة وَإِصْلَاحَهَا بِإِعَادَتِهَا إِلىٰ الجَادَّةِ المُسْتَقِيمَةِ الَّتِي تَرَكَهَا عَلَيْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، لَا بِالْخَبْطِ فِي الْأَرْضِ خَبْطَ الْعَمْيَاءِ مِنْ غَيْرِ بَصِيرَةٍ وَلَا هُدًىٰ!!

إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يُشْغَلْ عَنْ تَعْلِيمِ حَقِيقَةِ الدِّينِ.. حَقِيقَةِ التَّوْحِيدِ، وَإِنَّ الْمَدَنِيَّاتِ الصَّاخِبَةَ حَوْلَ مَهْبِطِ الْوَحْيِ وَجَزِيرَةِ الْعَرَبِ لَتَضْطَرِمَ بِتَقَدُّمِهَا فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ؛ سِيَاسَةً وَاقْتِصَادًا، وَقُوَّةً وَعَتَادًا، وَتَنْظِيمًا وَقَانُونًا، وَلَكِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَتَىٰ بِالْحَقِّ الصَّافِي الْخَالِصِ الصُّرَاحِ، الَّذِي يَنْفِي الزَّيْفَ، وَالَّذِي لَا يُخَالِطُهُ الْكَدَرُ؛ فَاسْتَقَامَ أَمْرُ النَّاسِ عَلَىٰ حَقِيقَةِ الْإِسْلَامِ تَوْحِيدًا وَمُتَابَعَةً، فَنَهَضَتْ أُمَّةٌ هِيَ خَيْرُ أُمَّةٍ مَلَكَتْ زِمَامَ الْقُوَّةِ بِرُشْدٍ وَعَقْلٍ، وَعِلْمٍ وَعَدْلٍ، وَمِنْ غَيْرِ أَنْ يَشُوبَ مَسْلَكَهَا جَوْرٌ وَلَا ظُلْمٌ.

وَأَدَّتْ أَمَانَةً، وَبَلَّغَتْ رِسَالَةً، حَتَّىٰ طَغَتْ بِدَعٌ فَاشِيَةٌ، وَعَمَّتْ خُرَافَاتٌ هَادِرَةٌ، وَاشْتَبَهَ عَلَىٰ النَّاسِ الْعَالِمُ بِغَيْرِهِ؛ فَتَبِعُوا الْأَرَاذِلَ، وَتَرَكُوا الْأَكَابِرَ، وَصَارَتِ السُّنَّةُ بِدْعَةً وَالْبِدْعَةُ سُنَّةً، فَصَارَ النَّاسُ إِلَىٰ أَمْرٍ مَرِيجٍ!!

صَفُّوا الدِّينَ!

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «تَزْكِيَةُ النَّفْسِ وَتَحْرِيرُ الْقُدْسِ» - الْجُمُعَةُ ٢٦ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٣٩هـ| ١٥-١٢-٢٠١٧م.

وَعَلِّمُوا حَقِيقَتَهُ!

وَأَرْشِدُوا الْأُمَّةَ إِلَىٰ اتِّبَاعِ نَبِيِّهَا ﷺ!

وَدَعُوا الِاسْتِعْجَالَ؛ فَإِنَّ اللهَ لَا يَعْجَلُ لِعَجَلَةِ أَحَدٍ، واللهُ جَلَّوَعَلَا فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ، وَقَدْ قَضَىٰ وَقَدَّرَ أَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ فِي الْأَرْضِ، وَلَا يُعِزُّ، وَلَا يُعْلِي إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا يَعْبُدُهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، فَهَذِهِ شُرُوطٌ، فَمَنْ حَقَّقَهَا وُفِّيَ لَهُ، وَأَمَّا مَنْ بَخَسَهَا نُقِصَ عَلَيْهِ.

نَسْأَلُ اللهَ جَلَّوَعَلَا أَنْ يَرُدَّنَا وَالشَّارِدِينَ أَجْمَعِينَ إِلَىٰ الْحَقِّ رَدًّا جَمِيلًا، وَأَنْ يُقِيمَنَا عَلَىٰ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَالْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ الَّتِي تَرَكَ النَّبِيُّ عَلَيْهَا الْأُمَّةَ.

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُحْيِيَنَا عَلَىٰ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، وَأَنْ يَجْعَلَنَا دَاعِينَ إِلَيْهِ، مُرْشِدِينَ إِلَيْهِ، مُتَمَسِّكِينَ بِهِ، وَأَنْ يُمِيتَنَا عَلَيْهِ، وَأَنْ يَحْشُرَنَا فِي زُمْرَةِ مَنْ جَاءَ بِهِ، وَأَنْ يَمُنَّ عَلَيْنَا بِأَنْ يَجْمَعَنَا مَعَهُ فِي الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَىٰ مِنَ الْجَنَّةِ، مُتَمَتِّعِينَ بِلَذَّةِ النَّظَرِ إِلَىٰ وَجْهِ اللهِ الْكَرِيمِ، إِنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «مُحَمَّد أَسَد وَحَقِيقَةُ الْإِسْلَامِ» - الْجُمُعَةُ ٢٢ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٢ هـ|١٨-١١-٢٠١١م.

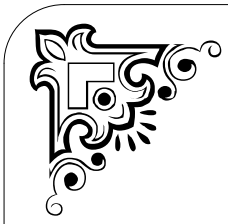

الْفِهْرِسُ

مُقَدِّمَةٌ ٣

أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ٤

الْأُمَّةُ الْوَسَطُ ٧

أُمَّةٌ مُتَمَيِّزَةٌ مَتْبُوعَةٌ لَا تَابِعَةٌ ٢١

وُجُوهُ وَأَدِلَّةُ خَيْرِيَّةِ النَّبِيِّ ﷺ ٣٢

جُمْلَةٌ مِنْ مَظَاهِرِ تَعْظِيمِ اللهِ لِلنَّبِيِّ ﷺ ٤٣

سُبُلُ تَحْقِيقِ خَيْرِيَةِ الْأُمَّةِ وَاسْتِعَادَةِ رِيَادَتِهَا الْآنَ ٥١

جُمْلَةٌ جَامِعَةٌ مِنْ سُبُلِ تَحْقِيقِ خَيْرِيَّةِ الْأُمَّةِ ٨١

الْفِهْرِسُ ٨٧